

المقطف

الجزء العاشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٤ - الموافق ٢١ رجب سنة ١٣٢٢

كتاب روزبري عن نبوليون

تمهيد

لما ذكرنا اسماء المشاهير في العام الماضي مرتبة حسب شهرتهم ومقدار ما كتب عنهم في التواريخ ودوائر المعارف الاوربية والاميركية كان اسم نبوليون اولها فهو باجماع اهالي اوربا وميركا اشهر انسان قام في المسكونة

وقد يُظن ان ما كتب عنه منذ مئة عام الى الان استغرق كل ما يمكن ان يكتب في هذا الشأن وان الكتاب والمؤرخين لم يتركوا شاردة ولا واردة ولم يفرطوا بشيء بل زادوا القول على نافي مجاله من السعة وصوّروا حول هامة نبوليون هالات من الجدد استنزفت كل صور الخيال . لكن ظهر من عهد قريب كتاب كتبه اللورد روزبري عن اخريات نبوليون جاء مصداقاً للقول المأثور "كم ترك الاول للاخر" لا لان اللورد روزبري اتى باخبار جديدة لم يأت بها غيره بل لانه محصر ما كتب في هذا الموضوع ونقاه مما ادخلته فيه الاوهام والاغراض ونسقه تنسيقاً بديعاً وابدى فيه من حسن الانتقاد واصالة الرأي ما يندر نظيره

واسم اللورد روزبري مشهور عند قراء المقنطف بنوع عام وعند المصريين منهم بنوع خاص وهو تليد غلادستون وخليفته في زعامة الاحرار من الانكليز وفي رئاسة نظارهم قبل ان اعتزل السياسة . وقد طالعو بعض خطبه مترجمة او ملخصة وعرفوه بقوة العارضة وحسن البيان ولكن قد لا يعلم جمهورهم انه من كبار الكتاب . وهذه مزية للانكليز على غيرهم من الامم وهي ان كثيرين من زعمائهم في السياسة هم من زعمائهم ايضاً في الانشاء فيجمعون بين وزارتي السيف والقلم ولذلك ترجح سياستهم على سياسة غيرهم

وقد اتفق لنا ان طالعنا هذا الكتاب ونحن في مكان يشرف على بحر الروم حيث اصطدمت
بوارج نبوليون ببوارج الانكليز خصوصه الالاء الذين تعقبوه من حين خفق علم النصر فوق
رأسه الى ان اُخذت انقاسه في منفاه . واصطدمت قبلها بوارج مصر ببوارج رومية وامتزجت
مياه البحر بدماء الابطال من عهد رعمسيس الكبير الى عهد نبوليون خاتمة الفاتحين العظام .
طالعناه فوجدنا من انصاف المؤلف ومهارته في استنباط الحقائق وكشف الغوامض فرأينا ان
نقنطف منه ما يميزه لنا حقوق التلخيص

(١) نفي نبوليون

بدأ اللورد روزبري كتابه بفصول ذكر فيها رفاق نبوليون والذين كتبوا اخباره في
منفاه وشرح اطوارهم وبين انهم لم يكتبوا بذكر الحوادث كما هي بل زوَّقوها باذواقهم وزادوا
عليها من مخترعاتهم . ويظهر لنا مما قاله في عرض كلامه عنهم ان اكثرهم كانوا جواسيس عليه
او صاروا جواسيس يتجسسون اموره ويتاجرون باخباره

ولما اتم الكلام عليهم شرع في الكلام على نفي نبوليون فقال " ان الانكليزي ليأسف
لان حكومة بلاده رضية بان تحرس نبوليون في منفاه ويزيد اسفه لانها قامت بهذه الحراسة
على اسلوب مهين وبواسطة اناس شكسي الاخلاق فان كان الفرنسيون يغتاظون من ذكر
جزيرة القديسة هيلانة فنحن الانكليز نتألم من ذكرها وتتوجع . ولكن قد لا نستطيع في هذه
الايام ان نحكم حكماً صائباً في ما كانت عليه الاحوال في ذلك الحين فان انكثرتا انفتحت على
مقاومة نبوليون وارسلته الى جزيرة البالا اكثر من ثمان مئة مليون جنيه ثم اضطرت ان
تنفق كثيراً من الملايين قبل ان تغلبت عليه عدا ما خسرت في وسائر اوربا من النفوس
الذين لا يقل عددهم عن مليونين فكان على الدول المتحالفة ان تمنع افلاته باية واسطة كانت لئلا
يعود الى سابق عهده ويضرم نار الفتنة في اوربا كلها . الا ان خوف اوربا منه يزيده
شأناً ورفعة قدر

ولما سلم نبوليون نفسه لانكثرتا بعد واقعة ووترلو كتب لورد ليربول رئيس وزرائها الى
لورد كاسلراي وزير الخارجية فيها يقول حبذا لو استلم ملك فرنسا بونايرت وقتله شنقاً او رمياً
بالرصاصة لعصيانته . ثم كتب اليه ثانية يقول " ان كان ملك فرنسا لا يرى من نفسه المقدرة على
معاملة بونايرت كما يعامل العصاة فنحن نأخذ على انفسنا حراسته " . وشكر اللورد روزبري
ربه لان الوزارة الانكليزية لم تسلم نبوليون للملك فرنسا لكي يقتل رمياً بالرصاصة كما قتل
المرشال ناي الفرنسي

ولم يكن نبوليون ينتظر ان ينفي الى جزيرة القديسة هيلانة بل كان يحسب ان الانكليز يسمحون له بالسكن في بلادهم كاحد الناس فيقضي غابر عمره في الصيد والقنص منقطعاً عن السياسة ومشاغلاً. لكن الحكومة الانكليزية لم تكن تأمن جانبه وهو على اميال قليلة من فرنسا ولا كانت تخلص من المشاكل القضائية التي تجرها عليها اقامته في بلادها. وقد دلت الدلائل بعدئذ على انه كان قاصداً ان ينتهز اول فرصة تسنح له ليعود الى فرنسا ويضرم نار الفتنة فيها على البوربون. وزد على ذلك انه لو اقام في انكلترا لالتف الناس عليه من كل صوب من مريديه والمجبيين به فيضعف بذلك شأن وزارة المحافظين الذين قهروه. ولم يكن يخلو من الانصار حتى في البلاد الانكليزية فقد كتب لورد لثربول الى لورد كاسلاري في هذا الصدد يقول "انك تعلم من اخلاق الناس في هذه البلاد ما يقنعك بان بونايرت يصير موضوع اعجابهم وقد تنعلق قلوبهم به في مدة اشهر قليلة". ونقاطر عليه الزوار لما وصل بليموث فأيد ذلك راي لورد لثربول وكان هو يعلم هذا فقال وهو في جزيرة القديسة هيلانة انه لو اقام في بلاد الانكليز لسبي قلوب اهاليها. وظهر ذلك جلياً على بحارة السفن الانكليزية التي سار فيها الى جزيرة البا والى انكلترا وجزيرة القديسة هيلانة فانهم كانوا يعجبون به ويدعون له بطول العمر. وزد على ذلك ان ولي عهد انكلترا الذي كان نائب ملكها حينئذ كان ميلاً اليه حتى قال لورد كيث امير البحر انه لو التقى بنبوليون وكلمه نصف ساعة لصار من اعز اصدائه. وجملة القول انه لو سُمح لنبوليون ان يقيم في انكلترا لكان منه خطر كبير على الوزارة الانكليزية وعلى الحكومة الفرنسية ولو سُمح له ان يقيم في اوربا او في اميركا لما أخذ الى السكينة لان طبعه يأبأها ولا غتالتة يد خصومه ولذلك اتفقت الآراء على ابعاده الى جزيرة القديسة هيلانة حفظاً للسلم العام

ولما أُخبر بعزم الحكومة الانكليزية على ارساله الى هذه الجزيرة اغتاض وقال انه لا يذهب اليها حياً ثم رضخ لاحكام القدر وقابل بلواه بالصبر. وأمر الذين اخذوه الى الجزيرة ان يعاملوه كجنرال متقاعد ولا يلقبوه إلا بلقب الجنرال بونايرت. وصعد الى ظهر السفينة يمشي حاسر الرأس فبقي الضباط جالسين ولم يكشفوا رؤوسهم ولم يعامله اميرال السفينة بالاكرام في اول الامر ثم احبه وصار يكرمه وقال انه كان اقل الركاب شكوى من ثقلبات الهواء واشتداد الانواء

وكان بحارة السفينة يسيرون فيها على غير رضاهم وقد جاهدوا بالعصيان قبل خروجها من مرفأ بليموث وأجبروا على البقاء فيها بالقوة ولذلك لا عجب اذا عانى الاميرال المشاق في قيادتهم

وارضاء نبوليون ومنع اتصالهم به . ووصلت السفينة به الى الجزيرة بعد تسليمه بثلاثة اشهر وبقي في حراسة اميرالها الى ان وصل الجزيرة والى جديد وهو السره دصن لو

(٢) السره دصن لو

قال لورد روز بري قلما ذكر احد في التاريخ ذكراً غير مشكور كما ذكر "لو" هذا فان نجسه جعله يقبل هذا المنصب الذي كان صعباً على سواه ويستحيل النجاح فيه عليه فقد كان شكس الاخلاق سريع الغضب لا يعرف طرق المجاملة وقد قال نبوليون عنه حينما وقع نظره عليه ان عينه كعين ضبع اخذت في نغ . وقات لادي غرائفل وقد رآته بعد عودته من الجزيرة بسنتين ان وجهه مثل وجه الشيطان . ولكن الحكومة التي كانت تود ان يقتل نبوليون شتقاً او رمياً بالرصاص لا يكبر عليها ان تختار لحراسته رجلاً مثل هذا وربما لم تكن لتجد غيره يقبل بهذا المنصب المحفوف بالمكاره . ومما ثبت ما قيل عن شكاسة اخلاقه شهادة دوق ولنتون فقد قال عنه انه كان جاهلاً احمق حسوداً سيئ الظن . وشهادة الاميرال ملكم ومندوبي فرنسا والنمسا وروسيا فقد قال الاميرال ملكم انه وجد الجزيرة مملوءة بجواسيس لو وقال المندوب الفرنسي انه كان يستحيل على انكثرا ان تجد رجلاً أشكس اخلاقاً منه . وقال عنه المندوب النمسي انه منغص العيش دائماً ولا يجد له مسرة الا بتنغيص عيش غيره فالانكليز يخافونه والفرنسيون يضحكون عليه والمندوبون يشكون منه والكل متفقون على انه نصف مجنون . وكان المندوب الرومي يوده وتزوج ابنة زوجته لكنه قال عنه انه متعب جداً لا يُحتمل لفرط سخافته ويستحيل عليه ان يسالم احداً لانه لا يرى في الناس الا الخيانة والغدر ومما يدل على سخافة عقله انه ابى ان يكلم المندوبين الا بالانكليزية وكان المندوب الفرنسي لا يعرف كلمة من الانكليزية و"لو" يحسن الفرنسية . وبقي مصرّاً على رأيه واخيراً عرض على المأمور الفرنسي ان يخاطبه باللاتينية بناءً على انها كانت اللغة الرسمية في القرن السادس عشر . واعطى بعضهم للمندوب الفرنسي بزوراً من اللوبيا البيضاء والخضراء ايزرعها فاجس لو من ذلك شرّاً وحسبه دسيسة زاعماً ان البزور البيضاء تشير الى البوربون لان علمهم ابيض والخضراء تشير الى نبوليون لانه يلبس غالباً سترة خضراء

ومما يدل على سخافة عقله ايضاً وسوء سلوكه انه دعا نبوليون مرة للعشاء عنده وارسل الدعوة الى الكونت برتران على هذه الصورة " اذا سمح الجنرال بونابرت فالسره دصن لو ولادي لو يسرّان بشرف مشاركته لهما في العشاء اكراماً للكونتس يوم الاثنين المقبل الساعة السادسة مساءً وهما يطلبان من الكونت برتران ان يوصل هذه الدعوة الى الجنرال ويخبرها عن

جوابه " وأخبر برتران نبوليون بها فتأفف وقال ما اقل عقله لا ترسل اليه جواباً. والكونتس المشار اليها ههنا هي زوجة لورد مويرا حاكم الهند . اي ان لو اولم وليمة اكراماً لهذه الكونتس ودعا الامبراطور نبوليون ليحضر الوليمة اكراماً لها ولم يكتف بذلك بل لقبه باللقب الذي يعلم انه يفيظه ويغيط فرنسا كلها وهو يحسب انه احسن صنعا . وكفى بذلك دليلاً على سخافة عقله ان لم يكن على قلة ادبه

ولا شبهة في ان السرهڤسن لو كان يقصد خدمة بلاده اكنه جوزي منها جزاء سنار على ما قال لورد روزيري فأرسل الى سيلان بعد وفاة نبوليون ولما انقضت مدة خدمته لم يعط خدمة اخرى ولا أعطي معاشاً . ومرّ وهو راجع من سيلان الى البيت الذي كان فيه نبوليون فوجد انه صار مزرعاً للدواب

وظهر كتاب الدكتور اوميرا عن منفي نبوليون وقد صوّب فيه سهام الدم للو والتنديد به فعّد ذلك قذفاً وطلب محاكمة المؤلف ولجأ الى اثنين من المحامين فقالا له عيّن لنا اما كن القذف فاخذ يقرأ الكتاب ولما تسرله تعيين اما كن القذف قال القضاة ان زمن رفع هذه الدعوى قد فات فاضطرّ ان يدفع النفقات ولا ينال شيئاً . وطلب من الحكومة ان تدافع عنه فلم يلقَ حبيباً واخيراً دافع عنه واحد بكتاب كبير في ثلاثة مجلدات لكن الكتاب ظهر بعد وفاته بتسع سنوات فلم يستفد منه وهو خضم عمل لا يقرأه احد

(٣) مسألة اللقب

واسهب لورد روزيري في مسألة تلقيب نبوليون بلقب جنرال فقال ان كل دول الارض ما عدا انكلترا اعترفت بنبوليون امبراطوراً لفرنسا غير انها كانت مستعدة ان تعقد معه صلحاً كامبراطور والبابا نفسه مسخه امبراطوراً وقد أعطي كل المزايا التي تعطى لاصحاب هذا اللقب سياسياً ودينياً وكان اعظم امبراطور قام في اوربا بعد شارلمان والالقب التي منحها في فرنسا اعترف بها الذين خلفوه فكأنهم اعترفوا بسلطته على منحها . ولولتوا نفسه كان بلقب اخاه بلقب ملك فلم يكن انكار الحكومة الانكليزية عليه لقب الامبراطور الا من قبيل السخافة ومثل ذلك تلقيب البارلنت له بنبوليون بوناپرتة Buonaparte كأنه اراد ان يجرده من الجنسية الفرنسية ايضاً

وما عتبه الحكومة الانكليزية بالحجة اجراه السرهڤسن لو بالقنطار وجرى على خطئه الى ما بعد وفاة نبوليون فان اتباعه ارادوا ان يكتبوا على تابوته اسمه نبوليون مجرداً من كل لقب فابى لوداك وقال بل اكتبوا معها بوناپرت فابوا هم ايضاً وتركوا التابوت من غير اسم

وعدّ لورد روزبري امثلة كثيرة من هذا القبيل ثم نصب ميزان الجدل واورد حجج الذين دافعوا عن الحكومة الانكليزية في اغفالها لقب الامبراطور وعززها بكل ما يمكن من ادلتهم حتى يظن القارئ انه لم يبق للمخالفين كلام يقولونه ثم انقضّ على تلك الحجج بالشواهد التاريخية والنتائج العقلية فقوضها نقوياً وها نحن موردون بعض ما اورده ليظهر منه كيف يجوز امراء الكلام في ميادين الجدال . نقل اولاً كلام السرولترسكوت كاتب سيرة نبوليون وهو

” لا شيء يدعو بريطانيا لمجاملة اسيرها وتلقيه بلقب ضنّت عليه به حينما كان زمام الامبراطورية الفرنسية في يده “

ثم قال ” ان مفاد عبارة سكوت ان بريطانيا غير مضطرة ان تجامل نبوليون حينما لم تعد ترجي منه نفعاً وهي لم تجامله حينما كانت تنتظر منه النفع مع انها كانت ترغب في تلك المجاملة حينئذ لانها فوّضت الى لورد يرموث ولورد لودردايل ان يخبرا الامبراطور نبوليون سنة ١٨٠٦ وكان لقب الامبراطور مرعياً في مؤتمر شاتيلون الذي أرسل اليه كل من نبوليون ونائب ملك الانكليز نائباً مفوضاً . ولو لم يوجس نبوليون شراً لعقدت المعاهدة فيه وامضاهما الفرعان

ثم ان بريطانيا اعترفت بنبوليون امبراطوراً في جزيرة الباليان نائبها السرنيل كبل كان يلقبه في المحررات الرسمية بجلالة الامبراطور نبوليون S. M. l'Empereur Napoléon “ وقال السرولترسكوت انه لو اعترفت بريطانيا بنبوليون امبراطوراً لاضطرت ان تعامله كامبراطور ولم يعد في وسعها الاحتفاظ به كاسير وقال ان ذلك سبب جوهرى لانكارها عليه لقب الامبراطور . فردّ عليه لورد روزبري بقوله ” ان الحكومة التي تعدّ هذا السبب جوهرى باخالية من كل جوهر لانه لم يكن يتعدّر عليها ان تجد في حكم نبوليون سوابق تميزها لها سجنه مع تلقيه بلقب امبراطور كما سجن هو فرديند ملك اسبانيا . واذا قال نبوليون حينئذ اني انا لم اعترف بفرديند ملكاً جارتها الحكومة الانكليزية في ذلك وقالت انها هي لم تعترف بنبوليون امبراطوراً وزد على ذلك ان في اوربا متسلطاً تفوق سلطته سلطة الملوك لان ملوك اوربا يعترفون انه نائب الله على الارض وهو بابا رومية وهذا البابا قد توجّ نبوليون امبراطوراً ومع ذلك فان نبوليون قبض عليه وسجنه ولم يقل احد كيف يسجن البابا وهو صاحب التاج المثلث ولا انخطّ شان البابوية بذلك فلم يكن اذا سبيل للامبراطور نبوليون ان يعترض على انكثرا لسجنها اياه وهو امبراطور لانه هو سار على هذه الخطة قبلها “

وقال السرولترسكوت انه لو لقيت انكثرا نبوليون امبراطور فرنسا فماذا يكون شأن الملك

لويس الثامن عشر وملك اي مملكة يكون . فاجاب اللورد روزبري "اولاً ان نابليون لم يلقب نفسه امبراطور فرنسا بل الامبراطور نابليون . وثانياً ان ملك الانكليز بقي يلقب نفسه وتلقبه حكومته بملك فرنسا مع انه كان على فرنسا ملك معترف به وهو لويس الخامس عشر وخلفه لويس السادس عشر فكيف حقاً للحكومة الانكليزية ان تلقب ملكها بملك فرنسا وعلى فرنسا ملك شرعي . ولم تترك انكلترا تليق بملكها بملك فرنسا الا على عهد نابليون ولعلها فعلت ذلك ارضاء له . ولكن الحكومة الانكليزية احسنت في انها لم تجادل نابليون باداة السر ولترسكوت والاً لثار نابليون في وجهها كالاسد وافسد حجتها من تاريخها وبين لها انه ابقى للملك شارل الرابع القاب مع انه وضع اخاه يوسف بدلاً منه على عرش اسبانيا"

ثم ذكر السر ولترسكوت حكم مؤتمر برلين بتجريد نابليون من الحقوق المدنية وحسابه عدواً للنوع الانسان ومقلقاً للراحة لانه نقض الاتفاق الذي جعل بموجبه امبراطوراً على جزيرة الباوة والسر ولترسكوت ذلك دليلاً على ان اوربا جرّدت نابليون من كل اللقب . فرد عليه لورد روزبري بقوله "ان نابليون لم ينقض ذلك الاتفاق بل نقضته حكومة فرنسا لانها تعهدت ان تدفع اليه مليوني فرنك كل سنة والى عائلته مليونين ونصف مليون وتعطي ابنه دوقية بارما وباشنزا وغواستلا فيلقب برنس تلك الدوقيات وذلك كله مقابل تنازل نابليون فلم نقم بشيء مما تعهدت له به فهي البادئة بنقض العهد . وكان امبراطور روسيا وامبراطور النمسا ووزير انكلترا يطلبون من حكومة فرنسا ان تقوم بعهدها فيجيبهم الوزير تليرند انه يخاف ان يرسل المال الى نابليون فيستعمله في حشد الجنود ثم يقول لمولاه الملك اننا نتردع بالمطل فتضطر انكلترا ان تدفع المال من جيبتها . وقد صرح لافايت ان البوربون قصدوا ان يحملوا نابليون على عمل منكر حتى يفتكوا به وكانوا يفكرون في طريقة يغتالونه بها . ولذلك فالمخالفون هم الذين نقضوا المعاهدة لا نابليون فهم اولى منه بالحرمان من الحقوق المدنية ان كان حرمانها نتيجة نقض المعاهدة

ثم ان الامة الفرنسية لم تصادق على حكم ذلك المؤتمر بل ايدت رغبتها في عودة نابليون اليها وتولي شؤونها وخروج البوربون منها بالصوت العام (بليسميت) فكيف تسجل الدول الاخرى ان تفض الطرف عن ارادة امة بأكملها

وقد يقال انه ان كانت الحكومة الانكليزية قد اساءت في انكارها على نابليون لقب امبراطور فنابليون اساء ايضاً في انه لم يترفع عن هذه الطوائف لاسيما وان شهرته كانت قد طبقت الخافقين ورسخ له في التاريخ اسماً لا يناله كيد خصومه بمكره . وهو احتجاج حسن

لا سيما وان اسم نبوليون كان قد صار فوق كل الالقاب . ويدكرنا هذا بما فعله الامبراطور كارلس الخامس لما تنازل عن الملك وزهد بالدنيا فانه طلب ان لا يلقب بعد ذلك بلقب الامبراطور وصنع ختمًا جديدًا عطاءً من صورة التاج . واهدت اليه مرة طاقه من الازهار فرفضها لانها كانت موضوعة في سلة عليها رسم التاج . ويؤيد على ذلك بان كارلس ابن الملوك الصيد ورث الملك عن آباءه واجدادهم فسواء تربع على عرش الملك او لم يتربع عليه فدم الملوك جار في عروقه لا ينكره احد عليه . وزد على ذلك انه كان قد زهد في الدنيا وطلب ان يصير راهبًا واما نبوليون فكان عصامياً وقد نال ما نال من الملك والسودد بقوة ذراعه وجناحه وكان لقب الامبراطور غاية ما بلغه بعد الجهد والعناء فلم يسهل عليه تركه اطاعة لعدو منتقم . وهو لم ينظر الى ذلك فقط بل نظر الى ما هو اهم منه واجل شأنًا وذلك انه حسب ان انكار هذا اللقب عليه اهانة للأمة الفرنسية التي لقبته به وانكار لحقها في اخيار ملكها ولسني المجد التي قضتها في عهده ولا يقصد بهذا الانكار الا محو آثار ذلك المجد من تاريخ فرنسا . واذا لم يكن هو امبراطورًا فلا يكون جنرالاً لان الامة التي لقبته امبراطوراً هي التي لقبته جنرالاً . وموقف نبوليون في حجه هذه ثابت لا يتزعزع

وقد قال السر ولتر سكوت ان نبوليون رضي ان يقيم في بلاد الانكليز متخفياً (incognito) مثل الملك لويس الثامن عشر الذي سمي نفسه كونت ليل فلماذا لم يقيم متخفياً في جزيرة القديسة هيلانة . ورد اللورد روزبري عليه بقوله " ان نبوليون طلب ان يقيم متخفياً في جزيرة القديسة هيلانة باسم الكولونل مويرون او باسم بارون دوروك ودامت الخباية في ذلك مع السر هدصن لوعده اسابيع . ويقال ان لوعرض على نبوليون ان يسمي نفسه "كونت ليون" وكاد نبوليون يقبل بهذا الاسم لو لم ينهه احد رجاله الى ان كونت ليون لقب لرئيس كنيسة ليون الكبرى فقال اذا لا يحق لي ان اتحل لقباً لغيري . واخيراً ابت الوزارة الانكليزية على نبوليون ان يتلقب بلقب متحل مهما كان لان الملوك يفعلون ذلك . فاللوم في كل ما حدث من مسألة اللقب عائد على الوزارة الانكليزية لا على نبوليون ولا على لو . ولما رأى لو ان المسألة لم تحل الغي كلمة جنرال من مكاتباته وصار يسميه نبوليون بونابرت بلا لقب ولا كنية كأنه هي بن بي "

هذا وكل ما ذكرناه في هذه المقالة مقتطف من كتاب اللورد روزبري ولو لم نشر اليه في كل فقرة وسنتم الاقتطاف منه في الجزء التالي

المهاجرة الى اميركا

كتب الدكتور الن مكولن من اطباء مصلحة الصحة في الولايات المتحدة الاميركية مقالة وجيزة في هذا الموضوع قال فيها : — كان الذين يؤثمون الولايات المتحدة الاميركانية قصد استيطان ثغورها بعد معاهدة باريس التي عقدت سنة ١٧٨٣ يستمون بالمهاجرين . وكانوا يستمون قبل حرب الثورة بالمستعمرين والفرق بين التسميتين سياسي . فان المستعمر كان مهاجراً يروم انشاء وطن جديد له في بلاد جديدة مع بقاءه من رعايا وطنه الاصلي . واما المهاجر فكان يسعى الى تغيير رعايته واستبدالها برعوية جديدة . ولاتزال حكومة ايطاليا الى الان تعد الايطاليين الذين هاجروا بلادها واستعمروا الولايات المتحدة ولم يغيروا جنسيتهم من جملة رعاياها . وهذا هو معظم الفرق بين المستعمر والمهاجر

ولم يكن في ذلك الزمان مدن كبيرة مزدحمة بالسكان يقصدها البهال كما هي الحال عليه في هذه الايام ولا كان هناك معامل كبيرة او مناجم تستدعي عمل العمال لان البلاد كانت براري وحراجاً لم تطأها قدم انسان ماعدا منطقة ضيقة على الساحل وكان المهاجرون الاولون قوماً لا تشي لهم المصاعب همة ولا تلاوي عزيمة ففتحوا الجبال بيوتاً ومهدوا لهم سبلاً في قلب الغابات الكثيفة دون ان يرجوا اجراً او شكوراً بل كل ما كان يندبهم الى العمل همة قسائه ورغبة في تأسيس وطن جديد يكفيهم مؤونة ما كانوا يلقون من الذل والنكد والاضطهاد في وطنهم القديم وعليه فقد كان المستعمر الاول خطاباً وفلاحاً ترك خلفه مشاق كثيرة من مثل الخدمة العسكرية الالزامية والاضطهاد الديني والجنسي والضرائب الثقيلة الحمل والحروب الاهلية ونظام الاقطاعات ووجد في مقره الجديد ملكاً مشاعاً واستقلاً لا تآماً لا يشوبه اضطهاد ولا ضغائن جنسية او دينية وحرية شخصية واحتراماً لحقوق الفرد بلا نظر الى مقامه الاجتماعي . فهذه المزايا الجليلة وامثالها حملت الالوف على المهاجرة حتى قدروا ان عدد الذين هاجروا الى الولايات المتحدة من اوربا بلغ ١٥٠ الفاً بين سنة ١٧٨٣ وسنة ١٨١٠ وكان معظمهم من الجزائر الانكليزية والباقيون من الالمان والفرنسيين واهالي اسوج ونروج

ثم انقطع سيل المهاجرة او كاد من انكلترا بسبب اشتباكها مع الولايات المتحدة في حرب سنة ١٨١٢ ثم عادت المياه الى مجاريها بعد انتهاء الحرب فدخل الولايات المتحدة نحو ٢٠ الف مهاجر . وطفى السيل بين سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٠ وجعل يزيد على التوالي حتى بلغ معظمه في العشرين سنة التالية وكان سبب الزيادة ابتلاء ارلندا بالجذب والتحط واشتداد ازمة

الصنّاع في المانيا وثورة سنة ١٨٤٨ واكتشاف مناجم الذهب في كليفورنيا وبلغت مهاجرة الارلنديين الرّبي بين سنتي ١٨٤١ و ١٨٥٠ فكانت ٤٦ في المئة من مجموع المهاجرين ثم جعلت تُنقَض حتى صارت ٤ في المئة . واما الالمان فما زالوا يهاجرون افواجا حتى سنة ١٨٨٠ وما بعدها بسنوات قليلة فبلغوا حينئذ ٣٠ في المئة من مجموع المهاجرين ثم تناقص عددهم حتى بلغوا الآن ١٠ في المئة من المهاجرين . وقس على ذلك اهالي اسوج ونروج ولما تناقص عدد المهاجرين من البلدان المذكورة اخذ عدد المهاجرين من ايطاليا والنمسا وروسيا يزداد فدخل الولايات المتحدة ٣٦٣١ ايطاليا و ٧٦٥٨ نمسياً و ٨٩٨١ روسياً سنة ١٨٧٥ ثم زاد ذلك العدد زيادة عظيمة حتى بلغ عدد المهاجرين الايطاليين ٦٢٢ ٢٣٠ نفساً والنمسيين ٢٠٦٠١ والروس ١٣٦٠٩٣ سنة ١٩٠٣ اي ان عدد المهاجرين الايطاليين والنمسيين والروس كان ٩ في المئة من مجموع المهاجرين سنة ١٨٧٥ فصار اليوم نحو ٦٧ في المئة منه

وقد كان المهاجرون الاولون يختلفون كل الاختلاف عن مهاجري هذه الايام فان الاولين كانوا زراعا وفلاحين كما سبق القول ولكن اكتشاف مناجم الفحم الحجري والحديد جعل الحاجة ماسة الى صنف آخر من الناس يسمى بالعمال وزادت الحاجة الى العمال بمد سلك الحديد في البلاد . ثم ان زيادة المعامل الصناعية جعلت مهرة الصنّاع ومهندسي الآلات الميكانيكية في كل قطر يهاجرون الى الولايات المتحدة افواجا . فكانوا لازمين للبلاد في بادىء الامر . اما الآن فلا لزوم لهم بعد بل ان مزاحمتهم للصنّاع الاميركيين تضايق هؤلاء وتسده ابواب التكسب والارتزاق في وجوههم

هذا وان سرعة نماء المدن الكبيرة في الخمس والعشرين سنة الماضية حملت صنفاً آخر من الناس على المهاجرة وهو صنف الحلم الانساني الذي يعيش على غيره ولا يعتمد على نفسه في معيشته . وعليه يمكن قسمة المهاجرين الذين يهاجرون الى الولايات المتحدة هذه الايام الى اربعة اقسام . الاول الفلاحون . والثاني العمال . والثالث الصنّاع . والرابع الحلم . فالفلاحون يشتملون على الذين يعملون في المزارع والذين يستأجرون الاراضي او يشترونها قصد استغلالها والاقامة فيها . والعمال هم جميع الذين يعملون في المناجم والمعامل واعمال البناء العظيمة . وهذان القسمان لازمان ولاغنى عنهما لتقدم فلاحة البلاد وصناعتها . والقسم الثالث يشتمل على المهندسين الميكانيكيين وحذاق الصنّاع وارباب الحرف والمهن وغيرهم من الذين يهاجرون الى اميركا ويزاحمون الاميركيين في صنائعهم . وهو ليس لازماً لتقدم البلاد وقد لا يكون ذا قيمة

فيه . واما القسم الرابع فلا قيمة له البتة كما يدل اسمه عليه بل انه مضر بجسم البلاد وهو يتضمن الحدّارين والشحاذين والبهال وسائر الذين يتجمعون في المدن الكبيرة فلا يستطيعون عملاً بدنياً شاقاً او لا يريدونه فهو لا عبث ثقيل على عائق المجتمع الانساني وضررهم بجسم الامة على نسبة عددهم

ويقال في اغنام ان احوال اوربا الاجتماعية والسياسية تعين كمية المهاجرة الى اميركا وكيفيتها . فالبلاد التي حكومتها عادلة ورعايتها ناجحة لا يهاجر عدد كبير من اهلها منها والذين يهاجرون منهم هم من الطبقة الدنيا وذوي الفقر والمسكنة . وخير مثال لذلك المانيا فان اثرها ونمو روح الوطنية في صدور الاهالي ورضاءهم عن حكومتهم كل ذلك قطع سيل المهاجرة منها الى اميركا او قلله كثيراً . والذين يهاجرون منهم الآن دون الذين كانوا يهاجرون منذ ٢٥ سنة . وخير لاميركا ان يؤمها الفلاحون الاقوياء الابدان من بلدان معارفها قليلة من ان يؤمها فاسدو الاخلاق والمجرمون والمرضى بامراض معدية واصحاب العاهات من بلدان درجة العلم والمعارف فيها عالية مرثقية

واليوم يهاجرون الى اميركا الفلاحون كما كانوا يهاجرون اليها فيما مضى ويهاجر اليها العمال والبلاد محتاجة اليهم فتقبلهم على الرحب والسعة ويهاجر اليها ايضاً رغماً عنها كل افاق لا يستطيع المعيشة في غير المدن الكبيرة . انتهى كلام الدكتور مكلون

وكان الكاتب اشار في القسم الرابع من هذه الاقسام الى معظم الذين هاجروا الى اميركا من الشرق الادنى سواء كان ذلك من سورية او غيرها والى اكثر اليهود الذين هاجروا اليها من روسيا فان جمهورهم من اهل الطبقة الدنيا الذين لم يتعلموا ولم يتنذبوا

قلنا ان معظم الذين هاجروا الى اميركا كانوا على مثل ما وصفنا لا كلهم لان بين الذين هاجروا اليها عدداً عديداً من الذين كانت غايتهم من المهاجرة طلب الرزق بالوسائل القانونية وشعارهم الصدق والامانة في المعاملة ورأس مالم العلم والتهديب والفضائل التي تلقوها في الوطن وربوها في ديار الغربة . ومن هؤلاء من عاد الى وطنه لينفع قومه ومنهم من اثر البقاء في اميركا وتجنس بالجنسية الاميركية حاسباً ان وطن الانسان حيث يكتسب رزقه وينال حريته ويأمن على نفسه وماله . فامثال هؤلاء يحملهم الاميركيون ويحترمونهم ويحسبونهم منهم فيهم

على انه لو كان فقراء سورية يقصدون اميركا للعمل في ارضها او في معاملها لعدهم الاميركيون من القسمين الاولين اللذين قال الكاتب فيهما انهما لازمان للبلاد لاغني لها

عنهما ولقد موم على الذين يقصدونها للتجارة ولو كانوا أكثر منهم مالا واسمى تربية واوفر تهذيباً وذلك ميسور لفلاحي سورية نظراً الى اعتيادهم حراثة الارض والى تسهيل الحكومة الاميركية سبل الحراثة والزراعة في وجه كل من يريد احترافهما في بلادها

وقلنا الشرق الادنى احترازاً من الشرق الاقصى وخصوصاً الصين فان الصينيين يملأون اطراف الولايات المتحدة الاميركية ويحتفون بعض الحرف السهلة مثل كي الثياب وما اشبه ولكنهم يتقنونها حتى يسابقوا الاميركيين فيها ويسبقوهم لاسيا وانهم يقتضون اجرة اقل مما يطلبه الاميركيون لان نفقاتهم زهيدة لا تكاد تذكر في جنب نفقات الاميركيين فلذلك يكرههم هؤلاء ويعدونهم دخلاء متطفلين على موائد رزقهم . واذا كرهوهم فانما يكرهون فيهم نقتيرهم وقناعتهم بالقليل من الرزق وشظف معيشتهم

فعسى ان يهتم السوريون المهاجرون الى اميركا باتباع الاراضي الزراعية واستغلالها كما فعلوا في هذا القطر فيعدوا من الطبقة الفضلى بين المهاجرين . لان الخيرات التي ينالها ارباب الزراعة يستخرجونها من التراب والماء والهواء فتصير بضاعة ثمينة بعد ان كانت ضائعة وتزيد بها ثروة البلاد وقوتها

أكليل الغار

— لكوكب البحار —

مرثاة للاميرال مكاروف بقلم تولستوي الفيلسوف الروسي الشهير نظمت ببعض تصرف
اخذاً عن جريدة المحبة الغراء

أبكي ابا الهيجاء اوجد عصره من كان غنم الدهر طاعة امره
والنصر خادنه لآخر عمره والآن لج البحر مدرج قبره
فيه مكاروف ثوى بسلام

ذاك المحيط القائم التتوج في عمقه الاجيال تلوا تدرج
كيف احنوى من للخطوب يفرج ولدى الوغى بدم العداة يضرج
وبيدهم بالصارم الصمصام

وله اعد النصر اكليل العلا ليبيت بالمجد الاثيل مكللا
وعليه شعب الروس بات معولا ورجوه بالاعدا البغاة منكلا
فيرداهم فرقا بغير نظام

لكننا حكم القضاء له أن يرى وبغير إبطاء بنكته جرى
ما أمهله الحادثات ليهرأ هذا الكيان وكل أفكار الوري
بالحزم والتدريب والاقدام

هل هاب منه الدهر ضدًا يقلق أم بات شخص الموت منه يفرق
لما رآه وهو منه الأسبق لبوغي ارواح العدى اذ يطبق
بمجموعهم كالليث بالاغنام

أم أثقل الغبراء وازن مجده فشكت قصوراً دون محمل جده
فسما وطهر النفس انفر برده نحو السماء مخلقاً من بعده
جثائه فوق المحيط الطامي

ولذاك بات به المحيط يفاخر ولخرصه اضحى عليه يحاذر
من ان تمتد الى بهاء نواظر مع درره في لجه هو ذاخر
جسماً كنوز العالمين يسامي

هذي الطبيعة كاشفته أمرها فرأته ممتداً ليكشف سرها
حذر العظيم من الاعظم جرّها لحياته الجلى توجه ضرّها
فعنا الجري لنافذ الاحكام

اذ ان اسرار الطبيعة فائقة لغموضها تغنو العقول الرائقة
واذا رأيتم من امور شائقة فلتلك جاءتها عزائم صادقة
ان العظيمة من اخي الاعظام

الزيت من طول اشتعال ينضب والفيض من نهر جفاف يعقب
والنور من طول الانارة يغرب وكذا حياة اخي العظام تذهب
اذ يستضيئ الارض كل همام

يا من باسرار الحياة تحيرا وعن البلوغ لكنه ذلك قصرا
عبثاً تحاول كشف ما قد اضمرا ليست حياة المرء الا مظهرا
للوهم يتلوه الردى كخنام

في كل عصر سابق ظن الملا ان الكمال لهم اتم واكلا
بوسائل من ارضنا لهم انجلي اوجاءهم وحيًا يساق من العلا
لكن ترى يا معشر الانام

اين الكمال لنا يزف حقائقه هل في قلوب بالقساوة دافقه
اضحت لسفك دم اخلائق عاشقه لا رحمة ام في قلوب زنادقه
باثارة الهيجاء ذات غرام

بل اين هاتيك المبادي الصالحة هل في ثغور بالتبسم طافحه
عن السن بظبي المفسد جارحه او اعين فيها الشراسة واضحية
ما بلها دمع مدى الايام

وتنهّد البحر العميق وان علا زادت عليه تنهدات بني الملا
وسكونه ان طال ليس ليعدلا لسكون هاتيك الفرائس للبلا
تطفو عليه وهي ذات زحام

يا قبة الافلاك هيا اعردي طول الزمان وبالسحاب تليدي
ياموج بالانواء دوما ازيد ياريج هي دون كل نقيد
كزئير ليث عاث بالانعام

يا كل اعماق بهذي الابحر او فوقها بالضر فيضي وازخري
وجميع ما يفني ويردي احضري فجميع هذي مثل عقدة خنصر
بازاء فتك معاشر الظلام

نبذوا العمود وبالشورر تسبحوا ولبعضهم بعضا جيوشا سرحوا
بالسخط والقتل الذريع تطوحوا لتمدن منه العواطف تجرح
لفساده بدل الضيا بقتام

ارض كساها الخصب اجمل حلة والري غادرها باكمل بهجة
خيراتها وفرت لاهل الهمة كي يشكروا وهاب كل عطية
وموزع الافضال والانعام

مالي اراها للابالس ملعبا حصن هنالك شيدوه مقبيا
وامامه حفروا الخنادق والظبي شهرت وتنظيم الدفاع ترتبا
وتهياوا لكرمية وصادم

وبواسل للقا العداة تجمهرها وسيوفهم باكفهم قد اشبهروا
وضيا الغزالة فوقها يتسعر مراى جميل للنواظر بهبر
فيه يرى المفتون رب هيام

وعليهم تلك الملابس تسطعُ والنفس من الحانهم تشجعُ
حركاتهم حسب النظام توقعُ وعلى رؤوسهم المغافر تلغُ
فتزيدهم حسناً ورفع مقام.

عزفوا بالحان هنالك شائقة وتلت قواطر بالكتائب دافقة
وعلى رؤوسهم البيارق خافقة وغدت بأسرع من سقوط الصاعقة
ترمي البنادق مثل حب غمام.

بدت البواتر والمدافع لعلتُ ولخصد هاتيك الموابك أسرع
ودم الخلائق كالبحار تجمعتُ الهام طارت والحشاشة قطعتُ
والقتل حلل دون بعض ملام.

اخيل تصهل والمدافع ترعدُ وبنادقُ نيرانها لا تبردُ
وصليل اسيف وثمة مشهدُ شبح الفنا والموت بات يعربدُ
بقبيح منظره على الافوام.

للقبصر المحبوب والاطوان لا تتوقفوا فالى الامام معجلاً
هذا شعارهم وآخر ما انجلى من قولهم لما احيطوا بالبلا
حيوا المنون تحية البسام.

وصدورهم فتحت لنار عداتهم والبشر منطبع على جبهاتهم
ونجيعهم يجري على وجناتهم وخلالله يبدو نبا نصراتهم
ماحجته صفرة الاعدام.

صاحوا لقبصرنا وحب مواطن نحو الامام تقدموا بتعاون
لبلادنا والملك دون تهاون هجموا وقد داسوا بقلب ساكن
قتلى لهم اسلاؤهم كركام.

وطئت ركاهم الخيول بلا جزع وتحمس الفرسان ثم بها اندفع
فالى الامام الى الامام بلا هلع صوت المبوق والطبول قد انقطع
ودم الفوارس صبغة الاعلام.

وهنت ابادي القوم من مشق الطي وهنت عزائمهم ومركبهم كبا

لكنهم زادوا لذاك تصلباً بلغوا حصوناً شيدت فوق الرابي
من حولها الاشلاء كالآكام

اعماق ممتد السكون قد اخترق لطف يصم الاذن بل يدمي الحدق
وصدور آلاف بأنات الحرق هتفت بمشجرة المنية واندفق

منها النجيع باوجع الالام

ضوء المشاعل مذ بدا يتوقد برزت مرء للفرائص ترعد
أخوان كل منهما يتوسد زند الشقيق بهجة نتصعد

ويد تشد براية وحسام

وبكل صدر منهما قد اغمدنا نصل لمقبضه اغار وانجدا
رھط الصليب هناك اسرع منجدا وجدوا صليهما اشد توردا

وتوقد انجثوا على الافدام

صلوا امامهما باوفر رهبة فتحا عيونهما بكل مشقة
هتفا بقولهما لآخر مرة لبلادنا ولملكنا ذي الرحمة

هيا بنا هيا بنا لامام

الليل خيم فوق هاتيك البقع والموت غشاها بجلباب الجزع
سجراً بها سرب الجوارح قد وقع لمدافن الابطال بالجوع اندفع

يلقى باشلاها الذ طعام

رجل هناك مضرج بدمائه فوق الثرى والسيف في احشائه
مع ضعف عينيه يرى بازائه جيش الجوارح هم في اعضائه

يقتات من ذاك القواد الدامي

اظفارها في جسمه قد اسرعت من فوق عظم الصدر لهما مادعت
وكذا عشاشة قلبه العاني رعت وبدت ثقب في حشاه اودعت

من نار اعداء الرصاص الحامي

قد أن لكن ليس اذن تسمع نادى فجأوبه نعيق يجزع
من سرب طير فوقه نتجمع كوليمة فيها الجوارح ترفع

ما بين لحم سائع وعظام

وبصدره النفس الاخير تصعدا وخزام ما قد فاه فيه مرددا
لمواطني ولقيصري روعي الفدا فالى الامام الى الامام الى العدى
فالموت في صدّ العداة مرامي

هذي الحروب وهذه احوالها مهما ثقل بالنتائج حالها
للشعب حقاً ضرها ووبالها ويل لمن يعزى له اشعالها
فلائمة من افطع الآثام

ولم غدا الوهم المضل يصور ان الردى فيها نغار اكبر
اذ خيلوه فضيلة لا تنكر بسيرة وشجاعة تتسعر
كأس الردى ارتشفوا ككأس مدام

مهما تضارب المذاهب في الورى في امرها والنهي عنها كرا
فلها البقاء بكل عصر قدرا وجدت مع الانسان مذ وطى الثرى
في عصر تنوير وعصر ظلام

نفروجها بجفاف اخر دمة اذ تنتهي للذات كل محبة
وتزول كل مطامع بشرية هذا هو الانسان حسب الفطرة
تم الكمال له من الاوهام

ان الكمال هو الحقيقة في البشر وحياتنا وهم فليس بمنتظر
ان يدرك الوهم الحقيقة فالفكر في الارض تأمل بالكمال لها ظفر
ستاله في عالم الاحلام

لا لا سيدركه متى العيش انصرم وبقره اضحى يمازجه العدم
ويضيق من نوم يطول على الامن ليعيش في دار السعادة والنعم
حيث الحقيقة تزدهي بدوام

يكفيك في التيه احتمالاً للكند هيا مكاروف استرح حتى الابد
يكفي عناً يا نفس ذياك الاسد ثقل الحياة خلعت مع ثقل الجسد
ولك الكمال بدا بكل تمام

بجمال صورته كسبت معجلاً وضيا الحقيقة بالكمال لك انجلي

معه امتزجت بلطف حسن قد حلا
عظمت ملذته لذلك في الملا
ما أدركته مدارك الافهام

فالآن انت الكوكب المتألق
بسماء الفضاء لك السناء المشرق
باشعة ذهبية تندفق
ارشد نفوساً بالشقا تخرق
في مرجح لتزاحم وخصام

في مداهم الكون نائمة الفكر
فمن الكمال أعد لها بعض الصور
لتبيت مدركة لبعض المنتظر
من بهجة سموية فيها الظفر
لك في العلا منقادة بزمام

فلك الهنا يا خير نفس طاهرة
يا ذات هاتيك المزايا الباهرة
ان كانت الافكار مني قاصرة
في وصفها فالنفس منا حائرة
بالوم ظي محابس الاجسام

هذا وانت طليقة بتحرر
ليست تقيد في الفضاء الاكبر
خوضي بحار اللا نهاية وامخرجي
والتيه والاختار لا تخذري
كللاً ولا تخشي من الالغام

واذا جرت سفن الحياة الحائرة
في موج ابجار الوجود الزاخرة
وغدا القتام لها يبحر مخاطرة
واليك قد رفعت عيوناً غائرة
من داجيات الهم والاسقام

فاجعل لمراسها الامين لها هدي
بشعاع نور من سناك توقدا
فجميع من فيها يغبط للدمى
لك كوكب الابجار ذكراً امجدا
ترداده الذاك كنشر خزام

بك يقندون فيبدلون الانفسا
وتدوم انت مبيتاً ومدرسا
حق المواطن كي نراه مقدساً
وعلى المدى ذكراك ليست تنسى
ذكرى هامر باسل مقدم

بسبيل امته وملك بلاده
في الحرب قد سفكت دماء فؤاده
ويرى امتداد الكون في آماده
بك كوكباً لم ينجب نور سداده
مجداً لامته مدى الايام

أذن الانسان

وتعليل عدم حركتها

نشر الدكتور ولتر سمث من اساتذة مدرسة لايك فورست مقالة في هذا الموضوع في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ما خلاصته

حديث الاذن حديث ذو شجون وتاريخها مختلف الوجوه . سلّ عالماً من علماء النشوء والارتقاء يخبرك ان اصل فتحة الاذن في الانسان فتحة خيشوم الدعوص الذي ارتقى الانسان منه وان المادة الغضروفية التي تتألف الاذن فيها نمت على سطح الرأس الخارجي وجهزت بعضلات مختلفة تغير حركتها وتكيف شكلها كما في الفرس مثلاً فان اذنيه تتحركان مثل عينيه بل هما اسهل حركة منهما ويمكن تحريك كل منهما في جهة مختلفة بخلاف العينين كان الطبيعة قصدت قديماً ان تكون اذنا جد الانسان مثل اذني الفرس من حيث سهولة حركتهما فجيزتهما بالمادة الغضروفية والعضلات اللازمة لتحريكهما ولكنهما غيرت فيما بعد قصدها فاستردت ما وهبت . نعم ان المادة الغضروفية باقية حيث كانت ولكن قوة التحريك زالت . ومن الناس من يستطيع تحريك اذنيه بعض التحريك الاّ أن ذلك يوجب اشمئزاز المشاهدين ونفورهم لدوره وخروجه عن حد المألوف

ورب سائل يسأل لماذا فقد الانسان قوة تحريك اذنيه . أيعد ذلك تهقراً في سلم الارتقاء ام خسر تلك القوة ليربح امراً اعظم لا يمكن ربحه بلا تلك الخسارة . وعندي انه يمكن الاستدلال على اسباب التغير الذي طرأ على الاذن وعلى ان الانسان ربح ربحاً عقلياً لاتعد الخسارة شيئاً في جنبه . ولتبيين ذلك الربح نبث اولاً في ما خسرهُ الانسان من المزايا على اثر فقد الاذن لحركتها واهمية تلك الخسارة تتضح من مقابلة الاذن بالعين . فان العين دائماً التحرك وعلى ذلك يترتب امران مهمان الاول انه يمكن تحريك العين من جهة الى اخرى عند ارادة فحس الاشياء ونقدها . وليست اقسام العين المختلفة على نسبة واحدة في قوة البصر بل ان القسم الاوسط منها احدث بصرّاً من الاطراف . وعليه فاذا اراد احد التحديق الى شئ غير مواجه له ادار عينيه نحوه ليمتص اشعة النور الخارجة منه على القسم الاوسط منهما . وهذا التغير في حركة العين يتم بالسرعة والدقة اللازمتين ويعين العين على اتمام الغرض المقصود منها

والامر الثاني المترتب على تحريك العين رؤيتها ما يقع تحت نظرها المتسع بغاية الترتيب

والانتظام . وقد يظهر ان علمنا بمركز الاشياء النسبي انما هو طبيعي * او غريزي * فان كثيراً من صغار الحيوانات ترشد خطواتها بنفسها من حين ولادتها فتأمن العنار والزلل بخلاف طفل الانسان . نعم ان في جهاز الطفل العصبي استعداداً لادارة حركاته المستقبلية ولكنه لا يستطيع ان يكيّف حركاته مطاوعة للوسط المحيط به كما يفعل فرخ الدجاجة مثلاً بل يدرك علاقته بالاشباح الخارجية بالتعلم والاختبار . ولما نعلم ماهية شعور الطفل بالنور لاول رؤيته اياه ولكن بعض شعورنا العادي يقاربه فقد قال احد العلماء الالمانيين ان شعورنا باللون عند تحديقنا الى اللون الازرق في قبة السماء يشبه صوتاً موسيقياً اي اننا نشعر باللون فقط ولا نتصور مكاناً له والمرجح ان شعورنا بالمناظر التي حولنا لاول رؤيتها لها يشبه ذلك الشعور . ولو كانت العين ساكنة لا تتحرك لما رأت من الاشباح التي حولها سوى اللون متتابعة . ولكن اذا كانت تتحرك وتنتقل بين الالوان فانها تمر من صورة الباب الى صورة الجدار فالشباك وهلم جرا فيترسم في الذهن سلسلة صور معروضة للنظر على الدوام ومرتبطة ترتيباً محدوداً . وعليه فان شعورنا بالاشباح التي حولنا منتظمة ومرتبطة مسبباً عن تحرك العينين

ومثل ذلك يقال في حاسة اللمس فاننا ندرك حجم الاشباح التي نلمسها بتداول الانامل لها ولا ندرك العلاقة المكانية التي بين تلك الاشباح إلا بلمسها مراراً طرداً وعكساً

اما الاذن البشرية فانها ثابتة لا تتحرك وعليه فهي لا تستطيع ان تأتي حركات معكوسة لاستقبال الاصوات مثل الحركات التي تدير العين من موضعها سريعاً لتستقبل اشعة النور الصادرة عن المرئيات . ثم ان تصور المكان بالصوت تصور صعب جداً حتى انكر كثيرون ان للصوت صفة مكانية ولكن لا يمكن اثبات ذلك لاننا نستطيع تعيين مكان الصوت وندرك ما اذا كان عن يميننا او يسارنا او خلفنا او امامنا وكذلك ندرك اختلاف حجم الاصوات . على ان ادراك صفة الصوت المكانية لا يقاس بحاسي اللون واللمس في دقيقتها وجلاء حدودها فما هو حجم الرعد مثلاً . نعم ان هذا السؤال يظهر بلا معنى لاول وهلة ولكنه ليس خالياً من المعنى كما يظن فاننا نقول مثلاً ان دمدمة الرعد ملأت السماء . وسبب ظهور السؤال المذكور بلا معنى هو غموض صورة الصوت من حيث الاتساع

واذا حللنا هذا الغموض وجدنا اننا نقدر ان نعين مكان الصوت تماماً بسبب عدم تحرك الاذن . وكلنا نعلم ما هناك من الصعوبة في تعيين جهة الصوت الغريب الا اذا ساعدت العين الاذن على ذلك . فان صوت جرس الدراجة يتركنا حائرين لاندرى من اين اتى حتي نرى الدراجة باعيننا وكثيراً ما يحدث اننا نسمع الصوت لامن جهة الجسم الصائت بل من

الجهة المقابلة له، فيرى من ذلك ان الاذن لا تقابل بالعين من حيث الدقة والضبط في تعيين الجهة . وان نقدها للعضلات التي تديرها لاستقبال امواج الهواء من حيث تأتي افضى الى نقصها الحاضر في تعيين مركز الصوت وباتت خسارتها مزدوجة . فالخسارة الاولى تظهر من قول دارون " ان توجيه كثير من الحيوانات اذانها الى جميع الجهات يفيد لها اكبر فائدة لانها تعرف به جهة الخطر وتسعى في انقائه " والخسارة الثانية لها علاقة شديدة بالاولى فانه لو كانت الاذن متحركة مثل العين والانامل لا شبهتهما في ترتيب الصور المكانية التي تحدثها وفي جلاء حدودها ولو لم تبلغ مبلغهما في ذلك

على ان دارون يرى ان الانسان كسب مزية تعوّض بعض ما خسره بفقد الاذن لحركتها وتلك المزية هي زيادة السهولة في تحريكه رأسه الى جميع الجهات . نعم ان حركة الرأس تعين على البصر والسمع ولكنها لا توازي حركة اعضاء الالهواس نفسها . فان الرجل الذي تصاب رجلاه بالشلل فلما يتعزى عن مصابه بتعيين حمال خصوصي له يحملها حيث شاء . وما يجب الالتفات اليه في هذا الصدد ان العين تتمتع بحركات الرأس وهي لم تفقد حركتها

ولنتقل الآن الى البحث في الريح العقلي الذي نتج عن تلك الخسارة وهذا الريح هو الانتباه لتوالي الاصوات فان الصوت يقع فجأة على آذاننا ثم يزول ويتلوّه آخر يختلف عنه في صفته فدرك الصوتين وتميز بينهما . واذا اصغينا الى جسم صامت انحصر اهتمامنا في الانتباه لاصواته المتتابعة . وهذا يتضح من سماعنا للخطب التي نلّي امامنا فاننا نسمع اصواتاً تحدث في وقت واحد تقريباً ولكن الخاصة الغالبة من خصائص شعورنا بها هي ان تنوعها يحدث في سلسلة متتابعة . فالسمع اذاً حاسة زمانية اي يدرك به زمان الاصوات ولو بقيت الاذن متحركة لكان السمع حاسة مكانية تدرك اماكن الاصوات ولكن لا يدرك زمنها بل تدرك كأنها حدثت في وقت واحد

هذا من جهة شعور الاذن بالاصوات . واما من جهة شعور العين بالمرئيات فاننا ننظر الى شبح من الاشباح ومادنا ننظر اليه فان شكلاً يبقى واحداً لا يتغير وقد يظهر انه لم يتغير ولو نظرنا اليه بعد يوم او شهر او سنة . على ان العين تميز ما يطرأ على بعض الاشباح من التغير فاننا كثيراً ما نرى سحج الصيف تتكون ثم تضمحل في السماء واغصان الاشجار تحرك من جهة الى اخرى ولكن البصر حاسة مكانية واهتمام العين انما هو بالاشكال وعلاقتها ببعضها ببعض بخلاف الاذن فانها عضو حاسة زمانية . فلو فرض ان العين مرت لتهم اهتماماً خصوصياً بالتغير الذي يطرأ على الاشباح التي امامها لوجب ان تمتنع عن الحركة وان تبقى محدقة الى تلك الاشباح

والصور والاشكال الخصوصية التي يتخذها نتائج الاصوات وتشعر الاذن بها ولدت اللغة والموسيقى . فاللغة مؤلفة من اصوات متتابعة وفائدتها تفوق كل وصف ويتلوها الموسيقي فان ما يشعر به من الارتياح للانغام الموسيقية يتوقف على الشعور بنتائج الاصوات وربّ معترض يسأل وما قولكم في الحيوانات الدنيا التي ليس لها اذان خارجية او لها اذان لا تتحرك . وفي الجواب على هذا السؤال يلزمنا ان نميز بين الحيوانات التي لم يكن لها اذان متحركة البتة وبين الحيوانات التي كان لها اذان متحركة ثم فقدت اذانها حركتها فان كلامنا متجه الى هذه الاخيرة اما الطيور التي لم يكن لها اذان متحركة فانها شديدة السمع ومعلوم انها شديدة الوله بالموسيقى فهي كالانسان من هذا القبيل لان اذانها ثابتة فتدرك نتائج الاصوات . وما يذكر هنا ان كثيراً من الطيور تقلد الاصوات حتى صوت الانسان وفي وان تكن لا تدرك معنى ما تقلده ولكنها تدرك نتائج الاصوات وقد يظهر لأول وهلة ان السعدان والقرود شذّا عن القاعدة المتقدمة فانهما فقدوا قوة تحريك الاذن مثل الانسان ولكنهما لا يستطيعان النطق مثله . واذا كان ذلك كذلك فانهما فقدوا شيئاً لم ينالا عوضاً عنه كما نال الانسان . ولكن لا يغرب عن البال ان العلماء العقليين لا يزالون يجهلون اموراً كثيرة عن حياة القرود العقلية فان بعض انواع القرود تجتمع جماعات تأخذ في الصياح معاً وتلذّ به وهي لا تصيح قصد طرد العدو عنها بل تفعل ذلك عن تروّ قصد الغناء وزعيمها يبدأ اللحن . ثم ان السعادين تأتي اصواتاً أخرى غير ما تقدم تدلّ على ادراكها للاصوات . ذكر الاستاذ هيكل انه سمع بعض القرود تصوت اصواتاً غريبة تشبه بعض الاصوات التي ينطق بها قبائل البوشمان عند الكلام . وكتب المستر غارنر مقالة في "كلام السعادين" قال فيها ان الاصوات التي تحدثها السعادين هي اصوات ذات مقاطع وصادرة عن تروّ وقصد . والسعادين توجهها دائماً الى فرد معين بقصد انهاه اياها على ما يظهر . ثم تنتظر الجواب فاذا لم تظفر به كررت الاصوات مراراً . وهي تنظر عادة الى الشخص الذي تخاطبه ولا تحدث تلك الاصوات اذا كانت منفردة او قصد التسلية . وتفهم الاصوات الصادرة عن السعادين التي من نوعها حتى اذا قلدها الانسان . والغالب ان كل عمل من اعمال السعادين يصحبه صوت خاص به . وقال المستر غارنر في مؤلف آخر انه بعد ان درس طبائع القرود في مواطنها الاصلية ان الشيمبانزي ينطق بخمس وعشرين كلمة الى ثلاثين كلمة وقد ادعى انه تعلم عشراً منها حتى انه يستطيع ان يخاطب القرود بها ووصف المستر رومانس كيفية غناء القرود المعروف بالشيمبانزي فقال ان اغنيته مؤلفة من

صعقات وصيحات سريعة عالية يرددها وهو يفحص الارض برجليه . وقال دارون ان نوعين من القرد المعروف بالجييون يستطيعان الغناء
 وما يهيم ذكره في الكلام على ترقية قوى النطق في القرد ان القرد متقدمة على مآدونها من الحيوانات في احوالها الاجتماعية كما يشهد بذلك السياح والذين عنوا بتربيتها . ولكن معرفتنا لتلك الاحوال ناقصة وما نعرفه منها كافٍ لان يدلنا على ان صفة الاجتماع فيها وثيقة العرى . وحيث تكون الحياة الاجتماعية كذلك فهناك يترق استعمال الاصوات . ويظهر لاول وهلة ان ما ربحه القرد في استعمال اصواتها لا يساوي ما فقدته بسبب تغير آذانها وصيورتها غير متحركة ولكن لا يمكن الجزم بذلك نظراً الى ما لترقية قوة النطق من الاهمية
 وخلاصة ما تقدم ان فقد الاذن لحركتها افضى الى زيادة الانتباه لتوالي الاصوات وانتهى باستعمال اللغة والموسيقى . وان شكل الاذن كان ملائماً في بادىء الامر للوسط المحيط بها فتغير فيما بعد مطاوعة لشروط الارتفاع في درجاته التي هي اسمى وارقى . ولا ريب ان شكلها الحاضر اكثر ملائمة للقيام بالمطالب العقلية العليا

بنك رويستون

ان سبيل الشر لا يخلو من معالم الخير ولا سيما في اوله وهذا مارآه النهام فان محبة زوجته وابنته له والنظر الى مقامه بين اقاربه شغلا باله تلك الليلة واليوم التالي ليصرفاه عما عقد نيته عليه . وكان ابنته لم تتودد اليه قبلاً كما توددت تلك الليلة ولم تعرب عما يكنه قلبها له من الحب والاکرام كما اعربت حينئذ حتى خيل له احياناً انها عارفة ما في ضميره وتريد صرفه عنه . وقامت في الصباح واحضرت له الطعام على جاري عاديها لان امها تتأخر في نومها عادة وجعلت تصف مقدار حبها له وشكرها على تربيتها اياها وقالت انها اتفقت مع خطيبها على ان لا يأخذ منه درهماً بل يعيشا بكدهما لان معيشة الفقر تزيد تعلق كل منهما بالآخر والاعتماد على محبة . فقال لها هل يضرك ان اعطيك في آخر كل سنة بضعة الوف من الريالات لتسديد حسابات السنة قال ذلك وهو يحاول المزاح فطوقته بذراعيها وقالت له كلاً يا ابي ولا تريد ان نعلق قلوبنا على المال لانه لا يسعد احداً هوذا انت غني وعندك اموال كثيرة ولكني لا اراك اسعد حالاً من غيرك . اني احبك الآن من كل قلبي ولكن لو كنت فقيراً لزادت محبتي لك اضعافاً

فما سمع منها هذا الكلام ضاقت انفاسه وكاد يغشى عليه ولكنه تجلّد وودعها وخرج من البيت قبل ميعاد خروجه منه ولم يكذب يخرج حتى التقى باثنين من مدبري البنك فقالا له انهما أتيا ليدكراه بأنه مضي على البنك خمس وعشرون سنة حينئذ وقد قرّر قرارهم في مجلسهم الاخير على ان يحفظوا بذلك تلك الليلة وطلبوا منه ان يحضر الاحتفال ليقدموا له فيه تذكاراً يدل على شكرهم له لان البنك نجح بادارته نجاحاً تاماً ثم صاحوا وساروا بها يقولان الى اللقاء . فودعهما واذا بصوت من داخله يقول له اعترف لهما بواقعة الحال واخبرهما عما حل بالبنك وارح ضميرك ولا ترتكب هذا الوزر العظيم . هذا صوت الضمير هب من رقاده وحاول الانتصار عليه فلم يصغ اليه بل قال قضي الامر

وعند الظهر ارسل يطلب غداءه من البيت ولم يشأ ان يعود ويتغدى فيه على جاري عادته . ودخل عليه كلغري حينئذ وقال انه يهتم باسم البنك اكثر مما يهتم بأمر نفسه وان الاجرة التي يأخذها تزيد على حاجاته وقد وفر منه مبلغاً وزاده ببعض الاشغال التجارية فبلغ عشرين الف ريال وهو على قلته بالنسبة الى ديون البنك يسد ثغرة صغيرة وكمن حصة صغيرة سدت خاية كبيرة . وانه بلغته اشاعات مؤدّاه ان البنك في خطر مبین

فضاق صدر النهام وقال له اليك عن هذا الفضول اتجهل من انا حتى تأتيني بالاشاعات والخرافات ألم اقل لك انه لاخوف علينا أو نظن ان اللصوص عقدوا النية على سلبنا والأفم تخاف أو تريد ان تقدم لي نقودك لكي تسد بها الثغرة التي ولدتها أوهاملك

فاحمرّ وجه كلغري لكنه قال ارجو ان لا تغتاظ مني لاني لم اقصد ان اغيظك وغاية ما اتمناه في هذه الدنيا ان اخدمك فاسمح لي ان ادفع المبلغ الطفيف الى البنك فانه لا يضره فضحك النهام ضحكة الاستهزاء لكنه لم ير له مناصاً الا بان يكذب على صرافه فقال له اني شاكر لك على ما تبدي به من الغيرة ولكن اجلس واسمع ما اقله لك ولم اقله قبلاً لاني احسب انه ليس من شأنك ولكنني ارى الان ان ثقتي بك تحولني اطلاعك عليه . انظر هذا الدرج فان فيه مايساوي مليونين ونصف مليون من الاوراق المالية وهي مثل نقود الحجر تماماً وساضعها اليوم في خزانة البنك بيدي . نعم ان البنك عمل اعمالاً كبيرة خسر فيها ولكنه عمل اعمالاً اخرى ربح منها كثيراً ونحن الان في سعة اكثر مما كنا في اي وقت آخر ولا اقول اننا بآمن من كل خطر ولكنني اقول واؤكد اننا في سعة . كان يجب ان لا اخبرك بهذا الامر لا سيما واني لم اخبر المدبرين به فارجو ان لا تخبر به احداً . ولماذا لا تزال عابساً تعال للعشاء معنا غداً فان بنتك يكون في نيويورك لحضور الجمعية الطبية . ولا تكفي بعد

الآن عن ضيقة البنك والاموال التي وفرتها . اذهب الآن بسلام
 فخرج كلثري وبقي النهار وحده وقد تشدد وقسي قلبه واسكت ضميره
 اما كلثري فخرج من عند المدير غير مطمئن البال نعم ان المدير نفى خوفه من جهة واحدة
 ولكنه كان قد سمع ان اثنين من اللصوص المشهورين بسرقة البنوك جاء المدينة منذ يومين .
 سمع هذا الخبر متسلسلاً معنعاً من صديق له مستخدم في شركة الضمانات وهذا سمع الخبر من
 صديق له في دائرة البوليس السري ومفاد الخبر ان اثنين من اللصوص الكبار خرجا من
 نيويورك ووجهتهما تلك المدينة . وقد يكون الخبر كاذباً ولذلك لم يتجاسر ان يخبر المدير
 بتفاصيله ولكنه لم يستطع ان ينفية من ذهنه فطار النوم من عينيه تلك الليلة وقام وخرج من
 غرفته ومشى في طريق البنك وكان الفصل صيفاً ولكن كان الظلام دامساً لأنه لم يكن القمر
 مشرقاً وكانت الغيوم كثيرة متلبدة قرب الافق وكان الى جانب البنك بناء كبير خرج السكان
 منه لان اصحابه عزموا على هدمه وكانت ابوابه مفتوحة والخارج من البنك يستطيع ان يرفيها
 فيصل الى الشارع المقابل بطريق مختصر

وهناك حارس موقفه امام باب البنك وغفير من رجال البوليس يمشي في ذلك الشارع
 ذهاباً واياباً فيصل الى باب البنك مرة كل عشر دقائق . فوقف كلثري هناك هنيهة ولم ير
 الحارس ولا رأى الغفير فاستغرب ذلك واوحس شراً ثم سمع وقع الخطى فوقف في مكانه
 وبعد قليل وصل الماشي اليه واذا هو الدكتور بنتنك خطيب اوليا كان راجعاً من عيادة
 مريض فلما رأى كلثري خاطبه قائلاً ما اوصلك الى هنا بعد نصف الليل الانشغال البال او
 الحاجة الى استنشاق الهواء النقي . وكان صوته رناناً مطرباً فانعش فؤاد كلثري وكان كلثري
 عادلاً ينصف الناس وقد رأى من حسن شمائل هذا الشاب ماحبيه اليه رغماً عن انه اخذ
 الفتاة التي يحبها فقال له ان بالي مشغول من جهة البنك فقد بلغني ان عصبة من اللصوص
 انت هذه المدينة ولا ارى الحارس ولا الغفير ولا يخلو الامر من دسيسة على ما اظن
 فنظر اليه بنتنك وقال باسم اظن ان اللصوص في البنك الآن

فقال كلثري ان نفسي تجدهني بالدخول ليطمئن بالي
 فقال بنتنك اسمح لي اذا ان ادخل معك فان اثنين اصلح من واحد وقد كان لي بعض
 الشأن في الصراع ونحن في المدرسة فهل المفاتيح معك
 فقال كلثري اني شاكر فضلك نعم اني واثق بان لا اساس لاهامي ولكن ما الحيلة وانا

لا استطيع طردها ولا ضرر من الحذر فاذا اردت فتعال معي . قال ذلك وفتح الباب ودخل هو وبنتك

اتم د كستر غون تدبيره على غاية الاحكام كما يفعل القواد المخنون فرشا الحارس وتحلص منه وسلط على الغفير شاباً ارلندياً من قومه جاء يدعي ان عنده نقوداً ويريد ان يستشير في كيف يتاع بها وظيفة في البوليس فقصي معه ساعات في خان قريب من البنك واتى غون الى البنك ومعه رجل واحد من اتباعه ففتحاه واخذوا يعالجان الخزانة وهي كبيرة كالخزن المشيد ولكنها غير مصنوعة حسب الاساليب الحديثة فلا يتعذر فتحها بالمتقب والعفريت. وفي اقل من ربع ساعة فتحا بابها وقد تعبوا في ذلك تعباً كبيراً وتصبب جبيناهما عرقاً ولكنهما لم يحسبا للتعب حساباً لان امامهما ثروة تغنيهما وتأذن لهما بالسكن في بلاد المكسيك او شيلى آمنين مطمئنين بالراحة والهناء

ولما فتحت الخزانة قال رفيق غون ما اسهل فتحها عار علينا ان نأخذ شيئاً منها ونحن لم نعيب له . فقال له غون ما ادرانا ما فيها لانني لا اصدق ما قاله لي ذلك المنافق ومرت عليهما بضع دقائق وهما يفتحان دروج الخزانة وما فيها من الاوراق فلم يريا شيئاً من الاوراق المالية واخيراً قال رفيق غون هوذا اوراق بثلاثمائة ريال . فقال انثمئة فقط واين البقية وعادوا التفتيش فافرغا الخزانة كلها من كل ما فيها ولم يجدوا فيها غير الثلاثمئة ريال ووفقا وكل منهما ينظر الى رفيقه مبهوتين . واخيراً جعل رفيق غون يشتم ويلعن وقال غون لقد خدعتنا يا النمام ولكنك ستندم حيث لا ينفع الندم انت الان عند الموسرين تشرب كوئوس المسرات ولكنني ساسقيك دماً قبل رجوعك الى بيتك . ولم يكذ يفرغ من الكلام حتى صرخ رفيقه قائلاً " اتوا علينا " وحاول اغلاق الباب لكن بنتك كان من الاشداء المشهورين فدفع الباب بكثفه ومنع اغلاقه فضربه اللص بمطرقة كانت في يده فخاد من طريقها فاصابت رأس كلثري وكادت تصرعه ثم هرب وفتح باباً سريراً في مؤخر البنك وخرج منه وترك غون وحده فقال بنتك لغون سلم لنا فتسلم . وكانت عيناه تبتلاً لان في وجهه ملئه البشروبين اعطاف كلها قوة وبسالة وكأنه وهو كالجواد التخز للسباق

فقال له غون اليك عني ايها الشاب فلا تارلي عليك ولا اريد بك سوءاً دعني اذهب بسلام فاننا لم نأخذ شيئاً من البنك وكان بنتك واثقاً من نفسه انه خبير بفن الصراع فدنا من غون فراه يضع يده في

جيبه حيث يوضع المسدس عادةً ووقف الاثنان متقابلين وغون اقوى من بنتك كثيراً ولكن بنتك امهر منه بفنون المصارعة فتأسكا وتصارعا فصرع غون ووقع تحت بنتك وقبض بنتك على خناق غون وكاد يخنقه ولما وقع غون اتت يده اليمنى تحته فجمع قوته واخرجها من تحته وتناول بها مسدسه وقال لبنتك اتركيني حتى اذهب بسلام فقال له بنتك لا اتركك فوضع المسدس في صدره واطلقه فاصاب منه مقتلاً فأنحلت يدا بنتك ورماه غون عنه ونهض ونهض كلثري حينئذٍ وهجم عليه فرفسه برجله على ساقيه فالقاه على ظهره وخرج ونهض كلثري فرأى نفسه وحده مع القتيل فقال اواه لماذا لم يقتلني لقد عرفته يا الهي يا الهي

* *

عاد النهام تلك الليلة من الوليمة بعد نصف الليل وفي جيبه صحيفة من الفضة عليها كتابة منقوشة تعرب عن شكر مجلس المدبرين له لكي تبقى تذكراً لاولاده من بعده . وقف في ذلك الاحتفال مبالغاً في البشاشة وطلاقة الوجه وخطب خطبة اخنل الالباب بفصاحتها ونكاتها جواباً للخطب التي قدمت له . وفتح ساعته وهو راجع الى بيته وقال ترى هل قضي الامر وعزم ان يمر في الشارع الذي فيه البنك ولو طالت به الطريق ليرى ماجرى . جسارة لا تستغرب من طوح نفسه في الشر مثله . ولما دنا من شارع البنك رأى رجلاً ماراً في شارع آخر مقاطع وهو غون نفسه ولو اسرع قليلاً لا لالتقى به ولكن قدرت له النجاة منه لان غون كان عازماً على الفتك به

ووقف امام البنك وهو يقول في نفسه لقد كُلت لهذا اللص الصاع صاعين على اهانتيه لي فاخذ حشفاً وسوء كيلة ولا يستطيع الشكوى والاموال التي سرقها من اللص نقضي حاجاتي في الاسابيع الاولى الى ان يتدبر امر البنك قال ذلك وسار في طريقه . وكان كلثري في غضون ذلك يجمع ما بقي فيه من الرمق ليخرج من البنك وينادي الحراس فخرج ونادى ولكن النهام كان قد ابعده فلم يسمع صوته

ولما وصل النهام الى بيته فتح الباب خلصة ودخل غرفته وانكأ في سريره يضرب اخماساً لاسداس وهو عالم ان الناس كلهم يرثون له فتد عليه رسائل التعازي من كل مكان ويقوم المدبرون فيعقدون الاجتماع يعد الاجتماع واخيراً يجمعون له مالاً كافياً ويعيدون انشاء البنك ويقبضونه مديراً له . وتزوج اولمبيا في الخريف وتمضي مع زوجها للزهة في اوربا ثم يتبعهما ويستريح من عناء الاشغال . فبدا السرور على وجهه واسلم نفسه للنوم

وقامت اولمبيا في الصباح على جاري عاداتها وخرجت الى الرواق تستنشق رائحة الورد

وتنتظر خطيبها ليربها فتحييه وتعطيه اجمل وردة عندها . وقطفت الوردة ووقفت في انتظاره لكنه لم يربها في الوقت المعتاد ثم مرّ احد باعة الجرائد التي تصدر في الصباح فلما رآها دُعر منها والتي جريدة امامها وسار مسرعاً فاستغربت ذلك منه وتناولت الجريدة بيدها ودخلت لتعطيه لابيها وفتحتها في الطريق ونظرت فيها فرأت عنوان المقالة الاولى بحروف سوداء كبيرة فقرأتها ووقفت جامدة كالصنم وهي تظن ان عينيها خدعناها وضعفت يداها عن حمل الجريدة فجمعت قوتها وادنت الجريدة من وجهها وامعنت نظرها فيها فرأت الكلمات ترقص امامها فعادت تحديق فيها ثم صرخت قتلوه قتلوه يا ابي يا ابي ووقعت مغمى عليها والجريدة الى جانبها

* *

النهام في مكتبته وكثري واقف امامه . وقد مضى اسبوع على سرقة البنك وجرى التحقيق واخذ رجال البوليس يفتشون عن القاتل . ودفن بنتك . وقف كلثري بطلب منه امام النهام المدير فقال له المدير تفضل اجلس اني لا اقابل احداً في هذه الايام ولكن انت مستثنى اظنك اتيت لتسأل عما قرأ عليه القرار من جهة تنظيم البنك . لم يتم شي حتى الآن والمسألة في يد المديرين ولا استطيع ان اهتم بها لان زوجتي مريضة وابنتي تشغل بالي تفضل اجلس

فقال كلثري لا اجلس بل ابقى واقفاً باذنك . عندي امور اريد ان اطلعك عليها ولم ار من الحكمة ان اطلع عليها احداً غيرك . فقال النهام هذا الامر لا يعنيني وليس هو من شأني فاذهب الى رئيس البوليس واخبره بما تعلمه

فقال كلثري غير ملتفت الى كلام المدير . اولاً لا اريد ان اعود الى البنك

فقال المدير اذا تريد شهادة مني فاني اكتبها لك عن طيب نفس

وماذا تريد ان تفعل هل تريد ان نتاجر بما نعلمه

فقال كلثري حاشا لي ان افعل ذلك وانت تعلم اني لا افعله ولما سئلت لم اذكر شيئاً يلقي

اقل شبهة عليك لانني لو فعلت لوجدت القانون عاجزاً عن ان يذالك ولكن انت وانا وذلك

اللس نعرف من انت وماذا فعلت وسوف تبقى معرفة ذلك محصورة فينا . انك ابوها ويجب

ان تبقى مغشوشة فيك وخير لي ان اقتلك بيدي من ان تسب الظن بك ولقد فضلت ان اطلعك

على ما اعلمه من امرك . اما اللص فلا بد من نجاته والا افشى سرك وعليك ان تحمي الرجل

الذي قتل خطيب بنتك وتبقى متظاهراً بالفضل كما انت اكراماً لها . ولو قتلت نفسك لانفص

امرك . وعليك ان تدعها تعتنقك وتقبل كل صباح وكل مساء كما كانت تفعل دائماً وتظاهرها

امامها بالصلاح . اما الشرائع البشرية والنواميس البشرية فلا تصل اليك ولا يمكنها ان تقاصك
باشد مما تقاص انت نفسك به فقد مت موتاً ادياً ودخلت ابواب الجحيم من الان ومع ذلك
عليك ان تتظاهر بانك حي وبانك من الملائكة لا من الالبسة اما انا فلا اريد منك شيئاً
وانما اريد ان اكلمك عن الليلة التي قبل ليلة السرقة فقد زارك رجل تلك الليلة واستقبلته في بيتك
طنت اذنا النهام لما سمع هذا الكلام وجاشت نفسه وكاد يغى عليه وقال بصوت خافت
اصحح ذلك قد يكون صحيحاً فاني استقبل كثيرين هنا

فقال لكفري كنت ماراً امام الباب لما خرج منه رأيت وجهه رأيت جلياً حتى لا انساه
ولو مرت السنون ثم رأيت نفسه في الليلة التالية فعرفته

فتولت النهام الرعدة فامسك كرسية بيده مخافة السقوط عنه وقال هل رأيت فاجابه
كفري نعم رأيت وعرفته لما وضع مسدسه في قلب بنتنك واطلقه وكنت اود ان يلحقني به
لاني عرفت دخيلة هذا الامر . لقد كنت اعتقد فيك غير ما رأيت . اللهم صبراً
فوقع كلامه كالصاعقة على النهام لكنه تجلد وانتصب في كرسية وقال له قل ما هو مرادك .
قال ذلك وصمت بغتة كأنه حصر عن الكلام وغادرته الفصاحة التي انطقته بما لطق . ثم قال
هذا ما خطر لي ان اقله ولا اعلم تماماً ماذا قلت وسابق في هذه المدينة حتى اذا احتاجت الى
مساعدي لا اتأخر عنها اما انت فلن تعود تراني

قال ذلك ومشى ليخرج فقال له النهام لقد كنت احسبك صعلوكاً ضعيف الرأي ولكن
فاضت عليك الآن قوة علوية لكي تخجلني وتقتلني ولست آسفاً لانك عرفت امري بل انني
مسرور لانه يوجد من يعلم حق العلم اني مراءى وجبان وشرير وحسنًا تفعل ببقائك في هذه
المدينة حتى تقع عيني عليك من وقت الى آخر فاتذكر من انا . وانه ليصعب عليّ جداً ان ابقى
محفظاً باسمي وحياتي ولكنني سافعل ذلك الى ان اموت كمداً . اذهب يحفظ الله

عاش النهام بعد ذلك ثلاث سنوات فقط ولما مات ظهر كأنه شيخ ههم ولا تزال زوجته
وابنته في قيد الحياة عاكفتين على اعمال البر وكفري يزورها من وقت الى آخر . وفي غرفة
اولبيا صورة ابيا وخطيبها وهما سلوتها من الدنيا تحيطهما بالازهار كل يوم

انتهت القصة ومغزاها اوضح من ان يبين . فكم من امرئ تظنه معدن الصلاح ومحمد
الفضل ويظهر بين الناس في هذا المظهر ولا يبالي وهو ذئب في ثياب الحملان

ذئب نراه مصلياً واذا مرت به ركع

يدعو وجلد دعائه ما للقيصة لا تنفع

وكم من رجل يعدّ من اهل المناصب الذين حازوا الشهرة بالجد والمثابرة او من ارباب الاموال الذين اغنوا بالخذق والتدبير وهو لص انجيل المعارف او مرق الاموال او زور او مان فخدع الناس ولم يكشف امره . والضمير لا يؤنب على محرّم الاّ قبل التوغل في ارتكاب المحارم والعافل مشغول بنفسه عن كشف عيوب غيره

سياسة المدرسة

ألّت العاملة الفاضلة مس لاكرانج رئيسة مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام عدة مقالات بالانكليزية ضمنتها اراء اشهر كتبة هذا العصر في فن التعليم مثل سبنسر وغيره فأثرت نشر خلاصة مقالة منها في المقتطف الاخر وموضوعها "سياسة المدرسة" ليقف عليها اساتذة المدارس ومديروها قالت

من المدارس ما تكون بهجةً للعلم والتليذ معاً . فيدرس التلامذة فيها برغبة ونشاط ويرجعون الى بيوتهم مساءً وقلوبهم متعلقة بالمدرسة . ومن المدارس ما هي على خلاف ما ذكرنا . فان فيها من التشويش والكسل وسوء التصرف ما يحير المعلم ويتعبه حتى يشعر ان مدرسته اكروه مكان في العالم فيأخذ يعد الايام كأنه مسجون في احد السجون يستطيع الانسان ان يعمل عملاً ميكانيكياً وقلبه بعيد عنه ولكن هذا لا يتهيأ له في معاملة الاخوان حيث ينبغي ان تظهر محبته لعمله بعينه وشقيقه وصوته ويديه . والمحبة هي المفتاح الذهبي لكل قلب والمعلم الذي لا يجب تلامذته لا يمكنه اتقان التعليم . ولا حاجة الى اعلان المحبة بالشفاه فانها تظهر في الاعمال واللمحة والصوت بل نقرأ على محيا المعلم وهو ينظر الى تلامذته

وعلى المعلم ان يتذكر ان الطاعة الحقيقية لا تكون اجبارية . راقب جواداً وهو يروض تجد ان المروض لا يخوفه بل يهدي ارادته له بجدٍ فخالما يدرك المراد ويشعر انه قادر على اتماحه يجري في عمله

والمعلم اذا راقب تلامذته في ساحة اللعب يرى ان احدهم يتخذ امر القيادة على نفسه والبقية ينقادون اليه عن طيب نفس ليس لانه فائق القوة بل لان له الصفات التي تحولها القيادة كالرزانة والسطوة والثقة بالنفس وغيرها . فالمعلم المقتدر يتمكن من جذب التلامذة اليه ولا سيما الكبار منهم الذين يتهيأ له بواسطتهم اقامة رأي عام يهون عليه تدبير المدرسة .

والتلميذ يسر إذا شعر أنه قادر على مساعدة معلمه
ومن الممكن أن تصير الطاعة عادة في التلامذة . فيعتادون على الجلوس بهدوء والنهوض معاً
والسير بنظام والتكلم باحترام . وعلى المعلم أن لا يطلب من التلميذ طاعة عمياء بل ليطلب منه
الطاعة لقوانين يراها التلميذ أنها سنت خيره . وعليه مراعاة التلامذة عند سن كل قانون لأن
القوانين علاقة بهم . فهم إذا أحسوا أن أساس القانون حب السلطة نفروا من الرضوخ
له . فالطاعة ينبغي إذاً أن تكون عن رضى القلب لا كرهاً . وعلى المعلم قبل طلب الطاعة أن
يتأكد أصابة طلبه ثم يجري في تنفيذه باظهاره العزم والجد وتهيئة المعلم أهمية كبرى . قال
أحد النظائر المقتدرين " أن الذي لا يمكنه أن ينظر الى عين تلميذه لا يستطيع أن
يتسلط عليه "

وإذا فعل التلميذ أمراً مستقيماً فعلى المعلم أن لا يضيع رشده . فان رزانة الربان وتسلطه
على نفسه هما اللذان ينقذان المركب حين الخطر . وقوة المعلم تتضاعف الف مرة إذا استطاع
ضبط نفسه ضبطاً كاملاً في الأحوال المهيجة

ليكن قصد المعلم من التسلط على التلامذة خيراً . وعليه أن يراقبهم بانتباه ليتبين من
معرفة درجة اقتدارهم . فإذا وجد منهم ضعفاً فالوم عليه لأنه يكون غير قادر على تحويل
انتباههم إليه وعلى بسط الكلام وإيضاح المعاني . فان هذه النواقص إذا وجدت في المعلم كانت
عقبات في سبيل التلامذة ولا بد من تنسيق الدروس اوقات التسميع تنسيقاً حسناً والآن كانت
سبباً لخراب المدرسة

المرغبات

أن المعلم الذي يقتصر على حث النبهاء والمجتهدين يخطئ الغرض لأن هؤلاء لا يحتاجون
الى محركات ومرغبات . وعليه فان اعطاء الجوائز أمرٌ معترضٌ عليه لأنه من قبيل ترغيب
النبهاء وتثبيط عزائم البلداء الذين هم اولى بالحث والتحريك . هذا ناهيك عن أن الظفر بالجائزة
يجرك في الظاهر الإعجاب والكبرياء فينظر الى من دونه نظر الازدراء وربما كان جهاده في
الدرس ومحافظته على القانون لمجرد طلب التفوق والفوز لا لطلب المعرفة والسلوك الحسن
لذاتهما . وكما من مرة يرى التلامذة ولداً حاملاً جائزة مع علمهم أنه أقل منهم استحقاقاً أو
اجتهاداً . وأفضل المرغبات وأبسطها العلامات (النقاط) الأسبوعية والشهرية والسنتوية التي
تظهر منزلة الدارس . واسمى المنشطات الادبية الترغيب في الحصول على رضى الوالدين والمعلمين
والرغبة في التقدم والنجاح وعمل المستقيم وحب خير الآخرين وغير ذلك من الامور النبيلة

النأديب والقصاص

اذا عجز المعلم عن التسلط على التلامذة فهو غير قادر على التربية والتنظيم وعدم اقتداره هذا لا يقوم مقامه التوبيخ والتعنيف والضرب . ومن الاغلاط التي يغلب صدورها من بعض المعلمين هي الانتهاز وهو ليس تأديباً بل هو مخالف للتأديب . ومن اكبر المصائب التي على المعلم احتمالها هي الغلاظة التي تصبح احياناً وقاحة والغلاظ في المدرسة قلائل ولكن واحداً منهم يكفي لاتعاب المعلم كما تكفي ذبابة واحدة لافلاق الحصان . فاذا وجد من يتعمد الخشونة في المدرسة ويستهيئ باوامر المعلم فعلى المعلم ان لا يعامله بمثل خشونته بل ليظهر الاستغراب ما امكنه بهيئة مزوجة بخيبة الامل . تكلم مع التلميذ على انفراد ولكن لا تطلب منه ربط نفسه بوعده اذ لعله يريد الاصلاح ويأبى الارتباط بوعده . وليس من الحسن تكثير القوانين في المدرسة

ولا بد لكل مدرسة من قوانين فمن الضرورة تعيين قصاصات على مخالفتها غير انه ليس من الضروري جعل القصاص صارماً بل ليكن مساعداً في تدريب التلميذ على إطاعة القانون . فاذا كان التلميذ كسلان او مزعجاً فاستبقه بعد انصراف المدرسة واستوضح منه فاذا كان عذره حقاً او هو ليس من اهل السوابق فاصرفه . واياك ان تحجز عليه بروح الانتقام دعه يشعر انه انما يقاصص على الذنب لا على اغاظة المعلم

وقد نقضي الحال ان يعترف التلميذ علانية بذنب ارتكبه ولكن مثل هذا الاعتراف يحتاج الى مزيد حكمة وانتباه لئلا يتولد عنه الرياء او التذمر او العصيان جهاراً . وانواع القصاصات كثيرة الا ان الضرب ينبغي ان يكون آخر ما يلجأ اليه . والحذر من ضرب الولد على رأسه او دفعه او هزه او قرصه او جذب اذنه لان هذه الامور انما تستعمل بغضب فتكون عواقبها وخيمة هذا ناهيك عن انها معاملة وحشية تحط بقدر المعلم والتلميذ . والحذر من القصاصات التي تطول آلامها ومن استعمال التهكم والسخرية فانها تولد ارداء الاحساسات . وعلى المعلم حين اجراء القصاص ألا يكون عليه ادنى مظاهر الغضب لئلا يكون القصاص انتقاماً وتشفيماً . ومن المستحسن تأخير القصاص الصارم الى وقت يمكن التلميذ من التأمل بالذنب والمعلم من ضبط نفسه ليكون على اتم الهدوء والسكينة . ولا يبرح من البال ان الغاية من القصاص هي اصلاح المعتدي وردع الغير عن التشبه به فاذا كان القصاص فعلاً انتج ندماً وخضوعاً

والتوبيخ اللطيف من افعال القصاصات وخير استعماله على انفراد لان توبيخ التلميذ على

مشهد من ارفاقه يدعوهُ الى المقاومة وكما قلّت القصاصات في المدرسة دلّ ذلك على الزيادة في حسن ادارتها

والنظام من لوازم السلطة الحسنة . والسكون ليس بنظام . فقياس النظام إنما هو العمل اي ان افضل نظام هو الذي بواسطته يتم افضل عمل
ومن اللياقة ان يكون المعلم بشوشاً مبتسماً . يظن البعض ان السلطة تستدعي ظهور الانسان بمظهر الصرامة والاستبداد وهذا غلط . ان المعلم الذي يمكنه ابهاج التلامذة وابقاظ اذهانهم للمعرفة يمكنه ان يتسلط عليهم

التسميع

على المعلم ان يعلم جيداً ما يعلمه وان يستعد لكل درس . والموضوع مهما كان قديماً على المعلم اظهره بمظهر جديد منعش . والاولاد من طبعهم حب العلم فاذا ابدوا تملاً من درس فذلك دليل على ان وقته لم يأت . فالدروس يلزم ان تكون مناسبة لسن المتعلم ودرجة ارتقائه . وعلى المعلم ان يجري في تسميعه على طريقة يشغل بها الفرقة كلها ويطلب ان يكون التسميع خالياً من الغلط واجوبة المسائل محكمة تمام الاحكام لئلا يتعود التلميذ على الدرس السطحي فيعتاد الغلط ويفقد اعتبار النفس . وعلى المعلم ان لا يتبع خطة في التسميع يعرف منها كل واحد من التلامذة متى يأتي دوره وان لا يسمح بالمجوبة لاحد من غير تسميته ولا بمعارضة تلميذ آخر لان هذا من ضروب الخشونة . ونختم هذه المقالة بذكر بعض امور يجب على المعلم اجتنابها

(١) لا تسأل التلامذة مسألة سخيفة لا تحتاج الى جواب (٢) لا تسأل الاذكياء اكثر من البلاء (٣) لا تستعمل لهجة الامر (٤) لا تأخذك الملل في اصلاح سقطات التلامذة (٥) لا تأخر عن طلب الصفح من تلميذ اسأت اليه (٦) لا تغض الطرف عن الحسنات وتفقه عند النظر الى السيئات بل اكثر من النظر الى ما هو صالح (٧) لا تحاول تهديئة المدرسة بالخط على الطاولة او بدق الجرس (٨) لا تذنب تلميذاً على عمل شيء انت تفعله

لانه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

جرجس الخوري

طرابلس الشام

المقدس

المدرسة الكلية الاميركانية

في بيروت

يتعذر على الكاتب ان يوفي هذه المدرسة حقها من الوصف في مقالة او مقالات فان ذلك يقتضي مجلداً ضخماً وانما نقول في هذا الصدد ان ارض المدرسة تشغل مساحة تزيد عن مساحة حيٍّ من احياء القاهرة كالاسماعيلية او التوفيقية وفيها ثلاثة عشر بناءً نصفها كبير فخيم وموقعها في رابية تشرف على البحر غرباً بشمال وهو اؤها صحي وكل هذا مما يندر اجتماعه في المدارس الكبيرة

مضى على هذه المدرسة نحو ٣٨ عاماً وهي سائرة سيراً حثيثاً الى الامام فقد كان عدد تلامذتها سنة انشائها ستة عشر فبلغوا هذا العام سبع مئة واربعين وكان فيها اولاً دائرتان وهما الدائرة العلمية والدائرة الطبية فصار فيها الآن خمس وهي العلمية والطبية والصيدلية والاستعدادية والتجارية

وكان استاذاتها عشرة او اثني عشر فبلغوا اليوم نحو ٤٥ وكانت متاحفها صغيرة وادواتها قليلة ومكتبتها لا تكاد تذكر واللغات التي تعلمها الانكليزية والعربية فقط فصار فيها الآن صفوف اختيارية لدرس الفرنسية والتركية والالمانية ايضاً وجمع في مكتبتها نحو خمسة عشر الف مجلد وبلغت ادواتها وعددها مبلغاً عظيماً من الاهمية واصبحت متاحفها من متاحف العالم المعدودة وخصوصاً متحف النبات والجيولوجيا لوجود كثير من الروايز النادرة الجامعة لنبات سورية وفلسطين وبعض الممالك الشرقية وهو ما لا وجود له في غيرها

ويضيّق بنا المقام لو شئنا وصف كيفية التعليم فيها وغاية ما نقوله هنا ان برنامجها مستوفٍ فهي تعلم الرياضيات بجميع فروعها كالهندسة والجبر وحساب المثلثات والمساحة والهندسة التحليلية والفلك وفيها مرصد تام الآلات والادوات لرصد الاجرام السماوية وتعلم العلوم الطبيعية كالنبات والحيوان والكيمياء والجيولوجيا وتعني بتدريس اللغتين العربية والانكليزية تمام الاعناء من صرف ونحو ومعان وبيان وبلاغة، ويمرن التلامذة على الكتابة الفصحى والالقاء فيها. اما العلوم فتدرس كلها باللغة الانكليزية

غير ان الذي امتازت به هذه المدرسة وسبقت به غيرها من مدارس الشرق وكثيراً من مدارس الغرب ايضاً هو روح التربية الصحيحة والاعتناء بأداب التلامذة واثاء العواطف الشريفة وعزة النفس فيهم واعادهم لكي يكونوا رجالاً في العالم. فعند دخول التلميذ الى المدرسة

يعطيه الرئيس منشوراً طبع بعدة لغات وملخصه انك ايها التلميذ قد اتيت الى هذه المدرسة ليس كمن يأتي الى سجن بل كمن يأتي الى عائلة ومعلوك مهتمون ان يبلغوك اقصى درجات النجاح . فعليك اذاً ان تحافظ على قوانينها حتى يعيش جميع افراد هذه العائلة في هناء وراحة . واهم قوانينها هو هذا " ان كل تلميذ يسلك سلوك رجل اديب صادق شريف يحقر الكذب ويقتنم الفرص التي تسنح له للفائدة ويسر بمساعدة من حوله . فعند ما تدرس ادرس بنشاط وعند ما تلعب اللعب بنشاط . قد اشتهر تلامذة مدرستنا بالاستقامة في وقوفهم وكلامهم واعمالهم . ثم انك كثيراً ما ستشعر بفتور العزم او تقع في مشاكل فاذا وقعت في شيء من هذا فلا تناخر عن الالتجاء الى الرئيس او الى احد المعلمين اذ تجدهم يسرون بمساعدتك . " . ويعين الرئيس لكل فرقة من التلامذة معلماً يكون بمثابة صديق خاص لهم يلجأون اليه وقت الالعب والمشاكل . هذه هي طريقة استقبال التلامذة الداخلين حديثاً يأتي الواحد منهم غريباً فيرى رئيس المدرسة ومعلمها يستقبلونه بالترحاب ويعاملونه بما لا مزيد عليه من اللطف والابتناس والرئيس ساعات معلومة كل يوم يستقبل فيها التلامذة يدخل عليه التلميذ ليشكو همومه ويقضي اشغاله فيرى هناك اباً رؤوفاً وصديقاً نصوحاً يستقبله بالدعة واللطف ويخلص له النصيح وما يلزم من الارشاد فيعود وملاً جنبيه الشكر والنشاط بعد فتور الهمة والعزم . وليس هناك حاجب يحول بين التلميذ والرئيس او عوائد تلزمه مراعاتها مثل السلام العسكري والوقوف كما يقف الجندي امام ضابطه مما يثبط الحمم ويصغر النفوس ويجعل الانسان آلة ميكانيكية في يد من هو اعلى منه بل يجلس التلميذ بجانب الرئيس ويتحدثان بحرية تامة كما يتحدث الولد مع ابيه . وتحبي عقيلة الرئيس وغيرها من عقيلات المعلمين ليالي ساهرة لكل فرقة من فرق المدرسة لتعليم التلامذة آداب السلوك في الاجتماعات وتدريبهم على آداب المعاشرة فترى المعلمين وعقيلاتهم في هذه الليالي يبذلون الجهد في توفير وسائل السرور ويشتركون جميعاً في التوقيع على الآلات الموسيقية والغناء ولعب الالعب حتى يشعر التلامذة كأنهم بين اقاربهم وخلانهم وكل هذا مما لا غنى عنه في اقتباس التمدن الحديث وتهذيب الاخلاق والاهتمام بثقافة عقول التلامذة وتهذيب اخلاقهم ليس باقل من الاعناء باجسامهم في المدرسة استاذ ماهر الالعب الرياضية وهو يروض اجسام التلامذة على احدث الطرق العلمية المعول عليها في مدارس اميركا . يزن التلميذ في اول السنة ويقسمه بطرق مختلفة ثم يفرض له نوع التمرين العضلي الذي يوافقه ولكل تلميذ صحيفة خاصة به يقيده فيها الاستاذ بمقاس التلميذ من وقت الى آخر لمعرفة الفرق . ولدى الاستاذ جدول فيه متوسط وزن ومقاس

خمسة آلاف شاب في اميركا بين السابعة عشرة والثلاثين من العمر فيقابل عليه اقيسة التلامذة في المدرسة . وقد ظهرت فائدة هذه الالعب الرياضية حتى صار كثيرون من التلامذة مثل احسن شبان اميركا تقريبا في قوة العضل وخفة الحركة مع ما للاميركيين من السبق في هذا المضمار . وضمن اراضي المدرسة ميدان كبير متسع يلعب فيه التلامذة ولهم في السنة يوم مشهود يتقاطر اليه الناس لمشاهدة الالعب المختلفة حتى بلغ عدد المتفرجين هذه السنة نحو الخمسة آلاف

وتهتم المدرسة اهتماما عظيما لتقرن العلم بالعمل فلا يكتفي الاساتذة بالقاء الدروس وعمل التجارب بانفسهم بل يدربون التلامذة على اجرائها هم ايضا — ترى تلامذة صف التجميل الكيماوي وامام كل منهم الانابيب والادوات اللازمة للعمل وترى تلامذة صف الفحص المكروكوبي وكل منهم يفحص بمكروسكوبه وتلامذة النبات يجمعون عددا معلوما من الرواميز النباتية ويرتبونها بحسب فصائلها وانواعها ويفعل مثل هذا تلامذة الحيوان والجيولوجيا . وتلامذة مدرسة التجارة يتعمقون على مسك الدفاتر تمرينا كافيا ويدرسون علم سياسة الاقتصاد وتاريخ التجارة وآدابها والنصوص القانونية التي يحتاج اليها التاجر فيخرج التلميذ منهم وقد الم بمبادئ التجارة علما وعملا

وما يميز هذه المدرسة استقامة المبادئ وحرية الافكار وهي وان كانت مسيحية وتفرض على جميع تلامذتها حضور الصلاة اليومية الا انها لا تحاول حملهم على تغيير معتقدهم بل ان رئيسها يوصي كلا منهم باتباع قواعد مذهبه على اختلاف ملهم وتعلمهم فيسهل على المسلمين الصوم وقضاء سائر الفروض التي يوجبها الاسلام عليهم . والغاية التي تسعى اليها المدرسة هي جعل تلامذتها مثالا في الامانة والاستقامة وصدق المعاملة ولطف الاخلاق حائزين لجميع صفات الرجولية مثل الاعتماد على النفس والشهامة واحتقار الكذب . وجميع مواظ اساتذتها وخطبهم الادبية ترمي الى هذا الغرض وهي بعيدة بعد الارض عن السماء عن كل ماثم منه رائحة التعصب الديني او الجدل . ومن الطف الاساليب في انماء محبة الحق والعدل انه اذا اذنب تلميذ عرض الاستاذ الامر على صف الادبيات وطلب اليهم ان يدوا آراءهم في مقدار جسامته ذنبه والعقاب الذي يستحقه عدلا وقد شهد لهم الاساتذة انهم غالبا يصيبون في احكامهم ولا تمنعهم صداقتهم للتذنب عن النظر في ذنبه نظرا خاليا من كل غرض وهوى واغلب اساتذة هذه المدرسة من متخرجي اشهر المدارس الجامعة في اميركا وبينهم كثيرون من المعلمين السوريين الذين تخرجوا من المدرسة الكلية نفسها وكلهم يعيشون معا على غابة

الوفاق والوثام بلا فرق ولا تمييز. ومما يجدر ذكره عنهم انهم ينتهزون الفرص للدرس والمطالعة ولهم جمعيات خاصة بهم يلقون فيها الخطب المختلفة في المواضع التي يدرسونها ويسعون جهدهم في طرق ابواب جديدة للبحث فاساتذة النبات والجيولوجيا والتاريخ جابوا سورية وفلسطين وحوران وجبل لبنان وجمعوا رموزاً وعاديات ثمينة جداً وبعضها فريد في بابه لا وجود له في متاحف بقية المدارس

ولا تزال المدرسة سائرة في سبيل التقدم باجتهاد وهمة رئيسها ومعلميها وبغيرة اهل الفضل واليسار من اهالي اميركا الذين ينفقون من اموالهم عليها بسخاء ويهتمون بنجاحها. فقد شرعت هذا العام في بناء مستشفى للنساء على احسن مثال وآخر للاطفال ومدرسة لتعليم الممرضات صناعة التمريض يقضين فيها ثلاث سنوات في الدرس والتثمين وستكون دروسها بالانكليزية وينوون في المستقبل بناء مستشفى خاص بامراض العين وآخر للأمراض الجلدية هذه طرفة من تاريخ هذه المدرسة ووصف حالها الحاضرة . نسأل الله ان يأخذ بناصر ذوي المروءة والهمة والكرم لتعمريوت العلم في الشرق وتعود المعارف الى اهلها (صائح)

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبله)

الفصل العاشر في التصرف في الاملاك

ان عادة التصرف في الاملاك قد ادخلها القاضي تعديلاً للحق القديم او اثباتاً له (١ و ٢) من لم يدخلهم في الميراث الا القاضي لا يصيرون ورثة بحق تام بل هم اشباه الورثة ويسمون واضعي اليد

(٣) ان التصرفات في الملك المبنية على كتاب الوصية هي الآتية . الاولى ما يعطاه الاولاد المسكوت عنهم وما يدعى ضد الالواح . والثانية ما وعده القاضي كل المقامين ورثة شرعاً والمورثين حسب الالواح . واما من ماتوا ولم يوصوا في الدرجة الاولى الورثة الحقيقيون . والذين امر القاضي بجعلهم ورثة فالقاضي يميز لهم وضع اليد كالاولاد . ثم ان القاضي يميز وضع اليد في الدرجة الثانية للورثة الشرعيين . وفي الدرجة الثالثة عشرة اشخاص يفضلون على المعتق الاجنبي . وفي الدرجة الرابعة لاقرب ذوي الارحام . وفي الدرجة الخامسة لمن هو عضو من العائلة . وفي الدرجة السادسة للولى وللولاة ولاولادهم واصولهم . وفي الدرجة السابعة

للزوج والزوجة . وفي الدرجة الثامنة لذوي ارحام المولى

(٤) لكن تصحيحاً لكل هذه الاحكام قد استحسننا وضع اليد مخالفة لما جاء في الاالواح او موافقة له . واما الذين يموتون غير موصين فالاحكام الواردة في حق الاولاد وفي حق المتخذين ورثة شرعاً وفي حق الزوج والزوجة فلما كان القاضي قد اوجد جملة انواع من وضع اليد عين زمنًا محدوداً لطلب وضع اليد . سنةً الاولاد والاصول الطبيعيين او المتبنين ومائة يوم لمن عداهم

(٥) اذا من له حصة في الميراث لم يطلب وضع اليد في هذه المدة المحدودة فتعطى تلك المدة الذين هم من هذه الدرجة نفسها . وان لم يكن هناك احد من تلك الدرجة فتعطى المهلة من هو في الدرجة التابعة وهلم جرا . ولا يعد للطالب الا الايام التي يتمكن فيها من الطلب

الفصل الحادي عشر في الاقتناء بالتبني الاستدعاءي

(١) متى ابو العائلة سلم نفسه بالتبني الاستدعاءي فكل ماله من العروض والعقار والحقوق او كل ما يجب له كان في الشرع القديم يصير يبق تام ملك المتبني ما خلا ما يهلك او يبطل بتغير الحالة

(٢) اما في عهدنا فلم يبق له سوى استغلال ما امتلكه الاولاد بسبب اجنبي عن الاب . فان مات المتبني استدعاءياً في عائلته المتبناة فكل ما كان له حتى الملك ينتقل الى المتبني . مالم يكن هناك اشخاص آخرون يفضلهم قانوننا على الاب فيما لا يمكن ان يكتسبه من الاشياء

الفصل الثاني عشر فيمن تسلم اليه الاملاك المحكوم بها بسبب التحرير

اذا العبيد الذين اعتقهم مولاهم بكتاب لم يستعملوه لقبض الميراث التمسوا ان يقضى لهم بالاملاك محافظة على الحرية قبل التماسهم

الفصل الثالث عشر في التركات المنوعة الحاصلة من بيع الاملاك

وفي مرسوم قلوديانوس^(١)

مع السياق المألوف في الدعاوي^(٢) تمنني مبيعات الاملاك فيعطى الدائنون الحق ان يضعوا ايديهم على الاملاك باذن القاضي بالوجه الذي يظهر لهم انه الاصلح والانفع

(١) عامل روماني ولد في السنة العاشرة قبل المسيح وقد جاء في ترجمته انه وضع عدة تدابير قضائية نافعة

وقد مات مسموماً (٢) اي مع اخفاء المعاملات المتعارفة

الفصل الرابع عشر في العهود

لنتنقل الى العهود . العهد رباط الشرع الملزم بالوفاء حسب قواعد الشرع المدني
(١) ان العهود بحسب التقسيم الاصلي قسمان مدنية وقضائية فالعهود المدنية هي التي
تقررها الشرائع او يؤيدها الشرع المدني . والعهود القضائية هي ما يقررها القاضي بالتصرف
بولايته ويسمونها شرفية

(٢) وهي في التقسيم التالي اربعة اقسام لانها اما ان تقع بالمعاهدة او بشبه المعاهدة
او بالجناية او بشبه الجناية . فالتى تقع بالمعاهدة تقوم بالشيء وبالقول وبالكتاب وبالرضا
الفصل الخامس عشر في بأي وجه يتعهد بالالتزام بالشيء

التعهد بالشيء يقع بحصول القرض . ومورده الاشياء القابلة للتأمين وزناً او عدداً او
ذراً والتي ترد بمثلها جنساً ونوعاً . وعن هذا العهد تنتج الدعوى الشخصية لاسترداد المسروق
والخنس والمغصوب

(١) من يقبل ما ليس له ممن يفيد اياه خطأ يلتزم بالشيء ويحق لمن يتصرف فيه
اقامة الدعوى الشخصية لاسترداده

(٢) من يأخذ شيئاً بقصد الاستخدام يلتزم به . وعليه ان يحفظه حفظ العارية .
والمستعير اذا فقدت العارية منه اتفاقاً يبقى ملتزماً بها (يريد اذا كان ذلك بسبب منه)
ويجب على من اخذ شيئاً للاستخدام ان يبذل اتم العناية بحفظه لكنه لا يلتزم اذا طرأت
قوة غالبة ولا في الاحوال الاتفاقية حين لا يقع الضرر بتعديده او نقصيره^(١) والشيء المأخوذ
للانتفاع به يعد عارية ان لم يعط او يوعد اجرة ما عليه

(٣) كذلك من يستودع شيئاً يلتزم به ويؤخذ بدعوى الوديعة ان وقع منه تعدي
او نقصير^(٢)

(٤) الدائن المرتهن ملتزم بالرهن وملتزم ان يرد الشيء بصك الرهن . وقد تقرر ان

(١) هذا منطبق على قول الفقهاء ان الامانة اذا هلك من غير تعدي لم يضمن الامين كالوديعة فهي امانة
في يد المودع فاذا هلك من غير تعدي لم يضمنها لان بالناس حاجة الى الاستيداع فان ضمانه يمنع الناس من
قبول الودائع فتتعطل مصالحهم

(٢) سئل فيها اذا كان لزيد الغائب وديعة عند عمرو فاذن له زيد في ارسالها اليه مع رجل امين يعنه
عليه ففعل ذلك فخرج على الرسول قطاع الطريق فهبوا القافلة والامانة بالقر والغبلة ولم يمكن دفعهم ويريد
زيد ان يضمنها عمرو فهل حيث كان الامر كذلك لاضمان علي عمرو (الجواب) نعم (تنقيح الفتاوى المحامدية)
وفيه ايضاً اذا بقي عبد الوديعة فلا ضمان على المودع اذ قد جرى ذلك بدون تعدي منه ولا نقصير في حفظه

ليس عليه إلا بذل العناية بحفظه

الفصل السادس عشر في العهود القولية

ينعقد العهد القولي بواسطة السؤال والجواب وذلك متى وقع الشرط على ان نُعطى او يفعل لنا شيءٌ وينتجج على هذا العهد أمران احدهما المطالبة برد الشيء المعين اذا كان الشرط معيناً والاخر دعوى الشرط ان لم يكن الشرط معيناً

(١) يجوز ان يكتب الشرط في أي لغة متى كان المتعاقدان عارفين بتلك اللغة
(٢) الشرط اما ان يكون مطلقاً . واما ان يكون الى اجل او مقيداً بجال . فصورة الشرط المطلق أن يقول هل وعدت ان تعطيني ليرةً وربعاً فعلى هذه الصورة تجوز المطالبة بالمبلغ حالاً واما الشرط المضروب له أجل فيضم اليه يوم وفاء المبلغ . وصورته ان يقول هل وعدت ان تعطيني ليرتين ونصفاً اول اذار فلا تجوز المطالبة بالمبلغ والحالة هذه قبل حلول الأجل

(٣ و ٤) الاشتراط المقيد بجال هو التعهد المؤجل الى حادثة معينة ففي هذه الصورة لا يكون للتعهد له الا الأمل في ان له ديناً . ويجوز له ان ينقل هذا الأمل الى وارثه
(٥) وعدت ان تعطيني في قرطاجنة فهذا كما يظهر وعد محض وهو في الحقيقة يتضمن أجلاً . وهذا الأجل ضروري للواعد لكي يتمكن من دفع المبلغ في قرطاجنة
(٦) الشروط المتعلقة بالزمان الحاضر او بالزمان الماضي تبطل الالتزام في الحال او توجب ان لا يتأخر التنفيذ بوجه ما

(٧) يجوز ان يُقيد العهد حتى بوقائع وحوادث لكن من الحكمة ان تُعلق عقوبات على تنفيذ ذلك العهد حتى لا يتكلف المدعي اثبات حقوقه

الفصل السابع عشر في المتعاهدين والمتواعدين

يجوز ان يتفق شخصان او اكثر في عهد واحد او وعد واحد فبعد ان يسأل كل منهما او منهم يجب الواعد ويقول "وانا أعد هذا الوعد على هذا الوجه" فيقول يازيد هل تعد ان تعطيني ليرتين ونصفاً وياعمر هل تعد ان تعطيني هذا المبلغ . فحتى اجاب كل منهما على افراد "انا أعد بذلك" تمّ التعاهد

(١) في تعهدات من هذا النوع لكل من الدائنين حق في الكل وكل من المدينين مسؤول في الكل

(٢) المشاركون في الوعد يجوز ان يكون احدهما ملتزماً على الاطلاق وان يكون الآخر ملتزماً عند اجلٍ او تحت شرط

الفصل الثامن عشر في عهد العبد

- (١) يحق للعبد ان يعاهد بالنيابة عن مولاهُ ويكسب لمولاهُ . وهذا الحق بعينه للاولاد الذين هم تحت ولاية والدهم
- (٢) اذا كان العهد واقعاً على عمل فالعهد يتعلق بشخص المعاهد
- (٣) العبد المشترك بين عدة موالٍ والمعاهد كسبه لكلٍ منهم على قدر حصته في رقبته ما لم يكن قد عاهد بأمر واحدٍ منهم فقط او لواحدٍ سماءُ منهم فكسبه حينئذٍ لذلك الواحد الذي سماه

الفصل التاسع عشر في تقسيم العهود

- توجد عهود أخرى (وهي شرعية . وقضائية . وعمومية)
- (١) العهود الشرعية انما تصدر عن منصب القاضي فقط
 - (٢) العهود القضائية انما تصدر عن منصب القاضي الأعلى فقط
 - (٣) العهود المتفق عليها هي المذكورة في عقود المتعاقدين
 - (٤) العهود العمومية هي كالتي بها املاك القاصر تكون محفوظة او كالتي بها يجب انجاز الوعد

الفصل العشرون في العهود الباطلة

- (٢١) كل ما يوجد او يمنحله انهُ يوجد يجوز دخوله في العهد فلا فائدة للعهد فيما اذا تعهد لشخص ان يعطي شيئاً مفرداً لله تعالى او شيئاً دينياً او عمومياً او رجلاً حرّاً او شيئاً الخاص
- (٣) اذا وعد شخص ان رجلاً يعطي او يصنع شيئاً فلا يلتزم بالوعد . واذا وعد ان يجعل ذلك الرجل يعطي فهو ملتزم بالوعد
- (٤) اذا اشترط زيدٌ باسم من ليس هو تحت ولايته فكأنهُ لم يشترط شيئاً وان اشترط باسم من هو تحت ولايته فما حصل عن ذلك فهو راجع اليه
- (٥) العهد باطل ان لم يجاب الشخص عن الشيء الذي سئل عنه
- (٦) كذلك متى عاهدت عن من هو تحت ولايتك او متى عاهد هو عنك فالعهد باطل

- (٧) الاخرس لا يستطيع ان يعاهد صريحاً ولا ان يعد . وكذلك الاطرش
- (٨) ليس المجنون باهلٍ لعهدٍ ما
- (٩) يجوز للقاصر شرعاً ان يعاهد في كل امرٍ لكن يشترط ان يكون ذلك بإذن الوصي حتى يصير ملتزماً شخصياً
- (١٠ و ١١) متى ضمَّ شرطٌ مستحيل الى العهد صار العهد غير شرعيّ
- (١٢) العهد القولي الذي يتعقد بين الغائبين باطلٌ
- (١٣) بما ان العهود تصير شرعية بتراضي المتعاهدين نريد ان العهد المقطوع للالزام سواءً كان بعد وفاة او ليلة وفاة المعاهد او الواعد يكون صحيحاً في كل حال
- (١٤) العهد المتعقد على وعدٍ مقابل للوعد الاول شرعيّ صحيحٌ في مطلق الاحوال
- (١٥) العهد بالهبة عند الوفاة على الصورة الآتية وهي اُعدني ان تهبني متى متُ انا أو متى متُ انت شرعيّ صحيحٌ
- (١٦) كذلك يكون العهد صحيحاً اذا علق على وفاة ثالث
- (١٧) اذا كان وعد زيد مكتوباً في صك فيعتبر ذلك الوعد بمنزلة جواب على سؤال متقدم
- (١٨) متى اشتمل العهد الواحد نفسه على اشياء متعددة فان اجاب الواعد " انا اُعد ان أُعطي " تعيّن عليه ان يعطي كل تلك الاشياء المذكورة في العهد . واما ان اجاب " اني اُعطي واحداً او بعضاً منها " انعقد الالتزام على ما تعيّن في الجواب
- (١٩) انما وُضعت العهود ليكسب كل من المتعاهدين ما ينتفع بكسبه
- (٢٠) متى تعهد احد الناس عن شخص ثالث وكان للمتعهد مصلحة في ذلك التعهد نريد ان يكون التعهد صحيحاً وذلك كما اذا تعهد مديون عن غريمه وله منفعة من وراء ذلك التعهد فالتعهد صحيح
- (٢١) من يعد ان شخصاً ثالثاً يعمل فلا يكون ملتزماً ما لم يكن قد قيد وعدهُ باشتراط عقوبة ما على نفسه ان لم ينجز الوعد^(١)
- (٢٢) لا يصح تعهد احد بشيء سيملكه

(١) من قواعد ابن نجيم ما يطابق هذه القاعدة قال « المواعيد بصور التعاليق تكون لازمة مثلاً لو قال رجل لا خربع هذا الشيء لفلان وان لم يعطك ثمنه فانا اعطيه لك فلم يعط المشتري الثمن لزم الرجل ادائه الثمن المذكور بناءً على وعده المعلق » (المجلة)

(٢٣) إذا اعتقد المتعهد أنه تكلم عن شيء والواعد يتكلم عن شيء آخر بطل التعهد

(٢٤) الوعد بأمرٍ قبيحٍ منكر غير صحيح شرعاً

(٢٥) متى قيد العهد بشرط معين فإذا تم الشرط جاز لوارث المتعهد أن يتصرف. وكذا وارث الواعد

(٢٦) من يشترط أن يُعطى له في سنة معينة أو في شهر معين يحق له شرعاً أن يطالب بما اشترط متى انقضت السنة أو الشهر

الفصل الحادي والعشرون في الكفالة

قد جرت العادة أن يؤخذ كفلاء ليكون المكفول له على أتم الثقة والاطمئنان
(١) يصح أخذ الكفالة في عامة العهود والالتزامات^(١)

(٢) أن الكفيل ملتزم بما كفل. وإذا توفي قام الوارث مقامه في الالتزام بما كفل به^(٢)

(٣) الكفالة يجوز أن تتقدم العهد ويجوز أن تتأخر عنه

(٤) إذا تعدد الكفلاء^(٣) فكل منهم مطالب بالكل إلا أن مرسوم العاهل أدريان

يلزم الدائن أن يطالب الموصرين منهم وقت ابتداء الخاصمة وكلاً منهم بحصته

(١) في الفقه الإسلامي تنجح الكفالة بكل حق يمكن استيفاؤه من الكفيل. والكفالة بالمال جائزة معلوماً كان المال المكفول به أو مجهولاً فالأول نحو كفلت لك منه المبلغ المذكور في هذا السند وقدره ألف ليرة والثاني نحو كفلت لك عن فلان ما ثبت لك عليه. وذلك بشرط أن يكون ديناً صحيحاً. وهو ما لا يسقط إلا بالاداء أو الإبراء. ومن مات وعليه ديون ولم يترك شيئاً فتكفل رجل عنه للقرماء لم تصح عند أبي حنيفة لأن الدين سقط بموته مفلساً. ولو ترك ما يفي ببعض الدين صح بقدره كما في ابن ملك

(٢) كذا في الفقه الإسلامي. أما الكفيل بالنفس فيبرأ من الكفالة بموت المكفول عنه لأنه سقط الحضور عن الأصل فيسقط عن الكفيل. وكذلك يبرأ من الكفالة بموته لأنه لم يبق قادراً على تسليم المكفول به بنفسه وما لا يصلح لإيفاء هذا الواجب

(٣) وفي المادة ٦٤٧ من مجلة الأحكام العدلية ما نصه «لو كان لدين كفلاء متعددة فإن كان كل منهم قد كفل على حدة يطالب كل منهم بمجموع الدين. وإن كانوا قد كفلوا معاً يطالب كل منهم بمقدار حصته من الدين. ولكن لو كان قد كفل كل منهم المبلغ الذي لزم في ذمة الآخر فعلى هذا الحال يطالب كل منهم بمجموع الدين. مثلاً لو كفل أحد آخر بألف ثم كفل ذلك المبلغ غيره أيضاً فللدائن أن يطالب من شاء منها. وأما لو كفلا معاً فيطالب كل منهما بنصف المبلغ المذكور إلا أن يكون قد كفل كل منهما المبلغ الذي لزم ذمة الآخر فعلى ذلك الحال يطالب كل منهما بالألف

- (٥) لا يجوز ان يكون الكفيل ملتزماً بأكثر مما يلتزم به المكفول عنه . ويجوز ان يكون ملتزماً بأقل مما يلتزم به المكفول عنه والمديون يجوز ان يعدّ وعداً مطلقاً والكفيل يعدّ وعداً مقيداً بشرطٍ لكن تقيض ذلك غير جائز
- (٦) اذا ادى الكفيل شيئاً عن المكفول رجع به عليه بحجة انه دفعه بالوكالة عنه^(١)
- (٧) في كتب زيد انه صار كفيلاً عن فلان اعتبرت كفالته شرعية صادرة بحضرة الشهود ووجب عليه القيام بها

الفصل الثاني والعشرون في العهود المكتوبة

الاستثناء لقلة عدد النقود لا يمتدّ بوجه من الوجوه الى ما وراء السنتين

الفصل الثالث والعشرون في العقود الصادرة عن التراخي

العقود تنعقد بالتراخي^(٢) في البيوع والاجارات والشركات والوكالات اذ يكفي من يعقدون هذه العقود ان يبدوا رضاهم . فالعاقدان في هذه العقود يجب لكل منهما على الآخر بعة الارتباط المتبادل ان يقوم بالواجب عليه للآخر بنية سليمة وانصاف

الفصل الرابع والعشرون في البيع

ينعقد البيع فور الاتفاق على الثمن وأما البيوع التي تقيد بالكتابة فقد قررنا ان البيع لا ينعقد الا متى كان صك البيع قد كتب بيد المتعاقدين او بيد ثالث . وأما اذا كتب ذلك الصك على يد الموثق اي الصكّ فلا يعتبر البيع قد عقد في اجزائه كافة الا اذا كان قد أُعطي شيء على سبيل العربون فالذي يرجع عن اتمام العقد فان كان المشتري خسر ما أعطى . وان كان البائع ألزم أن يرد ضعف ما أخذ . وما لا بد منه تعيين ثمن اذ لا بيع بلا ثمن

(١) يرجع الكفيل على الاصيل بما أَدَّى ان الكفالة بأمره والا لم يرجع عليه بما يؤديه لانه منبرّع بأدائه كذا في كتب الفقه الاسلامي عامة

(٢) كذا في الفقه الاسلامي واعلم ان البيع يكون بقول او فعل اما القول فالإيجاب والقبول وهما ركبة ولذا لم يلزم بيع المكره وان انعقد بل هو بيع فاسد موقوف على اجازة البائع . واما الفعل فالتعاطي وحقيقته وضع الثمن وأخذ الثمن عن تراضٍ منها من غير لفظ (الدر المختار وحاشية ابن عابدين)

(١) يجب ان يعين الثمن . وقد تقرر في شرعنا انه كلما جرى البيع على هذه الصورة وهي "لكي يعين الثمن فلان" كان البيع موقوفاً فاذا الشخص المذكور سمي الثمن نفذ البيع بحسب تمينه فالشاري يقبض المبيع والبائع يقبض الثمن . ولكن اذا كان الامر بالعكس اي اذا لم يرد الشخص المسمى او لم يقدر ان يعين الثمن كان البيع في هذه الحال مردوداً كأنه لم يقع اذ لم يعين له ثمن

(٢) ايضاً يجب ان يكون الثمن دارهم . وأما ساينوس وكاسيوس فقالا يجوز ان يكون الثمن اي شيء كان . ومن هنا أتى القول المشهور الدائر على السنة العوام وهو "البيع مبادلة الاشياء" واما بروكولوس فيقطع ان مبادلة الاشياء ضرب آخر من العقود مفترق عن البيع والرأي رأيه^(١)

(٣) متى انعقد البيع صار المبيع حينئذ في عهدة المشتري ولو لم يستلمه بعد . وما ظراً على المبيع بدون غش من البائع ولا تعد منه فلا يسأل عنه لكن متى حمل الغرير بعد البيع زيادة على الارض فهي للمشتري لان الزيادة لمن عليه التقصان

(٤) يجوز ان يعقد البيع بشرط وان يعقد مطلقاً^(٢)

(٥) من يشتري مكاناً مقدساً ومحللاً دينياً أو عمومياً فشراؤه باطل . واما من يخدعه البائع فيشتريها على انها كسائر العقارات المملوكة للأفراد فيجوز له ان يقيم دعوى الشراء ليسترد الثمن الذي دفعه . وهذا الحكم مطرد فيمن يشتري الحر على انه عبد^(٣)

الفصل الخامس والعشرون في الاجارة

الاجارة تشبه البيع . وقواعدها نفس قواعده وتنعقد متى اتفق على الاجارة^(٤)

(١) يقال لهذا في الفقه الاسلامي المفاضة وقالوا في تعريبها هي مبادلة عرض بعرض فمن بادل زيداً كتاب نحو بكتاب فقه كان ذلك مقايضة

(٢) كذا في الفقه الاسلامي ولكن على التفصيل الآتي وهو ان البيع بشرط يقضيه العقد صحيح والشرط معتبر والبيع بشرط يؤيد العقد صحيح والشرط معتبر وكذا البيع بشرط متعارف وهو المرعي في عرف البلدة والبيع بشرط لا نفع فيه لاحد المتعاقدين صحيح والشرط لغو (المجلة الفصل الرابع) وعند ابن شبرمة البيع والشرط جائزان على الاطلاق لحديث «المسلمون عند شروطهم» (٣) في الفقه الاسلامي بيع الوقف باطل لا فاسد كما هو صريح كلام القنية وفي حاشية ابن عابدين ان بعض مشايخ العصر افنوا بفساده لا بطلانه ولم نقل فتاواهم وفي المادة ٢١٠ من المجلة لو باع آدمياً حرّاً فالبيع باطل (٤) عرّفها الفقهاء بقولهم «الاجارة بيع منفعة معلومة بعوض معلوم»

- (١) ما قلناه في البيع في شأن تعيين الثمن اذا فوّض الى حكم شخص ثالث نقوله في الاجارة اذا جعل تسمية الاجرة لحكم شخص ثالث
- (٢) اذا سلمك شخص شيئاً معيناً لتتفع به او لتتبع به واخذ منك شيئاً آخر لينتفع به او ليتتبع به فهو نوع آخر من الاجارة . ويراعى في الدعوى نص العقد
- (٣) وهذا يراعى ايضاً في التركات المسلمة الى بعض اشخاص ليتمتعوا بها مؤبداً بحيث انه ما بقيت الاجارة او الغلة تؤدى الى المالك لا يجوز ان يخرج الميراث لا الى المستأجر نفسه ولا الى وارثه ولا الى من باعهم المستأجر او وارثه او المعطى او المجعول مهرراً او المبيع بنوع من سائر انواع البيوع
- وفي شريعة زينون ان الاجارة الطويلة المدة كانت عقداً خاصاً تتبع فيه قواعد له خاصة واذا بعض العقود كان مبنياً عليها كان حكمها حكم هذا العقد . واذا لم يتفق على ما يطرأ من العيب او الخطر على الشيء كانت الخسارة الكلية على المالك والجزئية على المستأجر
- (٤) اذا اتفق مع صانع على ان الصانع يصنع له خاتم ذهب بوزن معين وشكل معين وانه يدفع له ثمنه ليرتين ونصفاً كان ذلك عندنا بيعاً^(١) . واما اذا كان الذهب لزيد واتفق مع الصانع على اجرة الصياغة فذلك اجارة
- (٥) يجب على المستأجر ان يقوم بكل ما توجب عليه الشريعة بموجب العقد الذي عقده واذا أهمل شرط في هذه الشريعة وجب انفاذه بمقتضى قوانين العدل والمساواة . ويتعين عليه محافظة على الشيء ان يعنى به كعناية رب بيت بأهل بيته
- (٦) متى توفي المستأجر اثناء مدة الاجارة يقوم وارثه مقامه في الاجارة ويصير حكمه كحكمه^(٢)
- (ستأتي البقية)

(١) وفي المادة ٣٨٨ من المجلة « اذا قال شخص لأحد من اهل الصنائع اصنع لي الشيء الفلاني بكذا فرشاً وقبل الصانع ذلك انعقد البيع استصناعاً » وهذا موافق لما في الفقه الروماني كما رأيت

(٢) هذا مخالف لما في الفقه الاسلامي لانه اذا مات المؤجر او المستأجر تبطل الاجارة لكن اذا تعدد المؤجر او تعدد المستأجر تبطل بقدر المحصص . ولا تبطل في موت واحد من خمسة الوكيل . والوصي . والأب . والقاضي في اجارة مال البني . والقيم في اجارة مال الوقف (الفرائد المهيبة في القواعد الفقهية)

المغالة بالصور

لقد يعجب الشرقي اذا قيل له ان الصورة الواحدة التي لا تزيد مساحتها على متر مربع تباع احياناً بالف جنيه او اكثر الى عشرين او ثلاثين الف جنيه . ويزيد عجبهُ اذا علم ان تلك الصورة عينها كانت تباع ببضعة جنيهات وان صوراً مثلها لمصورين غير مشهورين قد لا تباع بعشرات الجنيهات . والسبب الاكبر للمغالة بالصور تنافس الاغنياء في احراز مالا يحرزهُ غيرهم واهتمام باءة الصورة بترغيبهم في ذلك . ومن اشهر هؤلاء الباعة بيت كرستي في مدينة لندن وهو دلالٌ نشأ في اواسط القرن الثامن عشر وكان في اول امره يبيع التحف والتركات على انواعها من الصور والاسلحة القديمة الى الخيل والمركبات والخنازير والبراميل ثم اقتصر على بيع الصور والتحف وجعل يعرض ما يريد بيعهُ في غرفة فسيحة ويدعو العظماء والاغنياء لمشاهدته ولا يدع احداً من السوق يمتزج بهم فزادت المنافسة بينهم رويداً رويداً حتى بلغت ما بلغتهُ الآن وصار محل كرستي مجمعاً للاشراف وارباب الثروة

وكانت اثمان الصور حينئذٍ طفيفة جداً . في اول مزاد أُقيم سنة ١٧٦٧ بيعت صورة من تصوير هلبين باربعة جنيهات وثمانية عشر شلناً وصورة من صور تشيان بجنيهين وشلنين وصورة من صور غويدو بجنيه وشلن . وبلغ ثمن كل ما بيع في يومين مئتين واربعة واربعين جنياً وثمانية عشر شلناً وهو لو بيع الآن لبلغ عشرات الالوف من الجنيهات . ثم زادت رغبة الاغنياء في ابتياع الصور وزادت مغالاتهم بها حتى ان صورة من صور رينلدر اخذ ثمنها مئة جنيه بيعت في المزاد سنة ١٨٢٨ فبلغ ثمنها الفاً ومئتي جنيه

ولما حدثت الثورة الفرنسية جعل كثيرون من امراء فرنسا وعظمائها واغنيائها يبيعون ما عندهم من التحف فانقل كثير منها الى انكلترا ووصل الى محل كرستي فبيعت صورتان منها بسبعة الآف جنيه وهما من تصوير كلود . وشاع ذلك في اوربا فقال المصورون واصحاب الصور ان سوقها في مدينة لندن فقصدوها بصورهم من كل بلدان اوربا وجعلت الدول ترسل معتمديها الى محل كرستي هذا لتسترجع صور اهلها باي ثمن كان كما حدث في صورة "الحبل بلا دنس" التي بيعت سنة ١٨٥٢ وكانت للمرشال صلت فان حكومة فرنسا اشترتها بنحو ثلاثة وعشرين الف جنيه

قال احد الكتّاب وقد دخل محل كرستي منذ عهد قريب ورأى الصور تباع فيه انه رأى هناك جماعة من اكبر رجال الانكليز مثل دوق دثشير ومركز لندون ونحوها من عظماء

الامة وكثيرين من كبار المصورين ومبتاعي الصور لمتاحف اوربا واميركا. فأتى أولاً بصورة لادي سلينا باركر من تصوير غاينسبرو ووقف الدلال ومطربة العاج في يده ونادى الجمع قائلاً كم تدفعون فقال واحد الف جنيه وقال آخر ألفاً وخمسة مئة وآخر ألفين وآخر الفين وخمسة مئة وآخر ثلاثة آلاف وآخر ثلاثة آلاف وخمسة مئة ووقفوا عند هذا الحد. فجعل الدلال ينادي ويقول ثلاثة آلاف وخمسة مئة جنيه ثلاثة آلاف وخمسة مئة جنيه. فعاد الناس الى الزيادة وزادوا مئة بعد اخرى حتى أبلغوها ثلاثة آلاف وثمانين مئة جنيه ووقفوا عند هذا الحد فرسا المزاد على احدهم. وهم يقولون ان الصورة ليست من احسن صور المصور غاينسبرو والافاقات هذا الثمن كثيراً لان احدي صورهم وهي صورة دوقه دفتشير بيعت سنة ١٨٧٦ بعشرة آلاف ومئة جنيه وصورة اخرى وهي صورة لادي ملغراف بيعت سنة ١٨٩٥ بعشرة آلاف جنيه وهي نفسها بيعت بالف وسبعين جنيهاً قبل ذلك بيضع عشرة سنة

وتباع الصور والتحف غالباً من مجاميع اصحابها اذا ماتوا ولم يستطع ورثتهم الاحتفاظ بها او اذا افتقروا او اصابهم نائبة اخرى من نوائب الدهر. ولا يندر ان تباع التحف التي جمعها الملوك والامراء والعظماء لان الدهر في الناس قلب "ان دان يوماً لشخص في غد يتغلب". وفي اوربا اناس عملهم التفتيش عن الصور القديمة في الاماكن المهجورة وابتاعها بارخص الاثمان والذهاب بها الى حيث تباع باثمان فاحشة. وكثيراً ما تكون مزورة صنعت في ايطاليا او المانيا وعزيت الى مصور قديم مشهور. ويقف صاحبها واصداؤه يتزايدون في ثمنها الى ان يتقدم غرض جاهل من اصحاب الملايين ويتزايد معهم فيرسو المزاد عليه

ويغالي اولئك الاغنياء بكل التحف النادرة كما يغالون بالصور في البيع الماضي بيعت حقة صغيرة من حقق السعوط بستة آلاف واربع مئة جنيه وقد كانت للملك لويس الخامس عشر. وبيعت ثلاثة آية من خرف سقر بعشرة آلاف جنيه وكس من الزجاج المنقوش بالفين وستمئة جنيه

وقد يتزايد المشترون ويفرطون مغايظة ثم يندمون ولات ساعة مندم. من ذلك ان بعضهم ابلغ صورة "دانيال في جب الأسود" التي صورها روبنس الى اربعة آلاف وتسع مئة جنيه فرسا مزادها عليه بهذا الثمن ثم باعها لصاحبها بالفين جنيه وقد بيعت هذه الصورة عيناها قبل ذلك بمئتي جنيه. وكثيراً ما تباع الصورة بثمن فاحش بناء على انها صورة حقيقية للمصور المنسوبة اليه ثم توجد مزورة لا تساوي شيئاً. وقد تباع بثمن بخس لانها تكون مغطاة بالاولسوخ ثم يظهر انها من اثن الصور لكن ذلك صار نادراً الان لمهارة منتقدي الصور. وقد

باع محل كرسيتي هذا صوراً سنة ١٨٨٢ بلغ ثمنها أكثر من ستمئة الف جنيه . فاعجب بغنيمة تشري من دلال واحد ما ثمنه ستمئة الف جنيه مما ليس من الحاجيات في شيء

وغني عن البيان ان صوراً يغالي الناس بها الى هذا الحد ويتاعونها بالوف الجنيهات نتيجة اليها انظار اللصوص فيحاولون اختلاسها بكل واسطة . وقد نجحوا في اختلاس كثير من الصور المشهورة من ذلك صورة كونتس دفتشير المشار اليها آنفاً . فان بعض اللصوص نزعوها من الاطار الذي حولها ولقوها وهربوا بها ثم وجدت وبيعت فاشتراها بيرنت مورغان المثري الاميركي

ومن ذلك ايضاً صورة مار انطونيوس وهي للصور مورلو واكبر صورهم ومن اجملها وكانت في كنيسة اشبيلية الكبرى وقد عرض دوق ملبروان يشتريها بستة وثلاثين الف جنيه فلم تبع له . وسنة ١٨٧٤ شاع ان بعض اللصوص عازمون على سرقتها فضوعف الحرس الذي يحرسها واضيف اليه كلبان كبيران . وفي الخامس من شهر نوفمبر وجد خرق كبير فيها فان اللص قطع منها صورة مار انطونيوس وهي تصلح ان تكون صورة على حداثتها . وبذلت الحكومة الاسبانية جهدها في التفتيش عن السارق والصورة المسروقة ونشرت صورتها بالفوتوغراف في الآفاق فلم نقف لها على اثر . وفي السنة التالية عرضت الصورة المسروقة للبيع في نيويورك باميركا والذي عرضت عليه عرف انها الصورة المسروقة واخبر قنصل اسبانيا بذلك واشتراها بمئتي جنيه وكان الذي باعها رجلاً اسبانياً فقبض عليه وظهر انه هو السارق وردت الصورة الى مكانها

ومنها صورة المجدلية متكئة ثقرأ وهي اجمل صور المصور كورجيو سرقت من متحف درسدن سنة ١٧٤٧ هي وصورتان اخريان غيرها . والظاهر ان السارق لم يكن راغباً فيها بل في الحجارة الكريمة المرصعة بها فانها وجدت بعدئذ في تبان واطارها منزوع منها . ومثل ذلك ما اصاب صورة من صور رفائيل فانها وجدت عند فلاح في ايطاليا سنة ١٨٧٦ وقد وضعها في شباك مكسور ليسده بها وراها عابر طريق فاستغرب وضعها في شباك مكسور وطلب ان ينظر فيها وكان خبيراً بالصور فعرف للحال انها صورة رفائيل التي صورها لبيت روفر

ومنذ خمس سنوات كان في متحف الصور الانكليزية المعروف بالرواق الوطني صورة سيدة واولادها الثلاثة من تصوير السريشوع رينلدر اهدتها اليه لادي هملتون سنة ١٨٩٢ ثم اتضح ان لادي هملتون كان يحق لها ان تمتلك هذه الصورة ما دامت حية ولكن لا يحق

لها ان تبعتها ولا ان تهبط فاستردها اصحابها سنة ١٨٩٩ وباعوها للمسترييت باثنين وعشرين ألف جنيه

ولا تفسر مغالاة الناس بالصور والتحف الى هذا الحد الا برغبة الاغنياء في الامتياز على غيرهم فيرون ذلك في احرار الاشياء النادرة او المنقطعة النظير وتقع بينهم المنافسة فيوصلون الصورة الى مئة ألف جنيه وحقه السعوط الى ستة آلاف جنيه كما تقدم

العمر والتدابير الصحية

لم تبق شبهة في ان التدابير الصحية تطيل العمر. الا ان اظهار ذلك بالارقام ليس سهلاً في هذا القطر كما هو سهل في غيره لأن احصاء السكان والمواليد والوفيات حديث فيه. اما البلدان الاوربية ولاسيا المدن الانكليزية فلاحصاء قديم فيها ودقيق وقد ظهر من احصاء الوفيات في مدينة لندن منذ ستين سنة الى الآن ان العمر آخذ في الازدياد فكان متوسط الوفيات السنوي نحو ٢٥ في الالف فصار الآن نحو ١٥ في الالف اي كان متوسط عمر الانسان ٤٠ سنة فصار الآن نحو ٦٦ سنة وهاك جدول متوسط الوفيات السنوي منذ سنة ١٨٤١ الى آخر العالم الماضي

٢٤,٨	١٨٥٠ و ١٨٤١	المتوسط السنوي بين سنة
٢٣,٧	١٨٦٠ و ١٨٥١	" " " "
٢٤,٤	١٨٧٠ و ١٨٦١	" " " "
٢٢,٥	١٨٨٠ و ١٨٧١	" " " "
٢٠,٥	١٨٩٠ و ١٨٨١	" " " "
١٩,٢	١٩٠٠ و ١٨٩١	" " " "
١٧,١	١٩٠١	المتوسط
١٧,٢	١٩٠٢	"
١٥,٢	١٨٠٣	"

ويظهر من ذلك ان متوسط عمر الانسان كان نحو ٤٠ سنة بين سنة ١٨٤١ و ١٨٥٠

فصار نحو ٤٢ سنة بين ١٨٥١ و ١٨٦٠ و ٤٤ بين سنة ١٨٧١ و ١٨٨٠ و ٤٨ بين سنة ١٨٨١ و ١٨٩٠ و ٥٢ بين سنة ١٨٩٠ و ١٩٠٠ ثم بلغ ٥٨ سنة ١٩٠١ ونحو ٦٠ سنة ١٩٠٣ . ومعلوم ان الوفيات لانقاع على معدل واحد في كل سنة من سني العمر بل الاطفال والشيخوخة معرضون لموت أكثر من الشبان والكهول . وقد أحصى عدد السنين التي عاشها الناس بعد ان بلغوا اعماراً معلومة وذلك من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٩٠ ومن سنة ١٨٩١ الى سنة ١٩٠٠ فظهر انهم عاشوا في العشر السنوات الاخيرة أكثر مما عاشوا في العشر السنوات التي قبلها . فالطفل المولود حديثاً قدّر له من العمر اقل من اربعين سنة بين سنة ١٨٨١ وسنة ١٨٩٠ وواحد واربعون سنة بين سنة ١٨٩١ وسنة ١٩٠٠ وابن خمس سنوات قدّر له خمسون سنة واربعة اعشار السنة في المدة الاولى وواحد وخمسون سنة وستة اعشار في المدة الثانية فزاد معدل العمر نحو سنة الى حد السنة الخامسة والعشرين واول من ذلك فوقها . ولذلك لا عجب اذا رجحت شركات ضمان الحياة ربحاً طائلاً في السنين الاخيرة لان الاموال السنوية التي تتقاضاها من الذين تضمن حياتهم مبنية على متوسط العمر منذ ثلاثين سنة اي ان الانسان الذي كانت تضمن حياته وهو ابن عشرين سنة ولا تنتظر انه يعيش ايضاً أكثر من ٣٧ سنة صار يعيش تسعاً وثلاثين سنة فيزيد ربحها من السنوات فقط نحو ٦ في المئة ولا سبب ذلك الاّ شيوع التدبير الصحية وتقدم العلوم الطبية وتوفر اسباب المعيشة . ولعلّ ذلك جارٍ في القطر المصري ايضاً لشيوع التدابير الصحية فيه واهتمام الناس بتطبيب مرضاهم وتمريضهم . ولكن ليس عندنا حتى الآن احصاءات مدققة لآثاره .

ثم ان الفقر والمسكنة من اسباب قصر العمر والغبى والرفاهة من اسباب طولله . فالغني يعمّر أكثر من الفقير لانه اقدر منه على اكل الطعام المغذي وعلى اتقاء الامراض والتداوي منها وقد ثبت ذلك بالاحصاء ايضاً في جهتين من مدينة لندن الواحدة يسكنها الاغنياء والثانية يسكنها الفقراء فظهر ان اطفال الاغنياء يعيشون ٥١ سنة واطفال الفقراء ٣٦ سنة . واولاد الاغنياء الذين بلغوا الخامسة من العمر يعيشون ايضاً ٥٧ سنة واولاد الفقراء الذين من عمرهم يعيشون اقل من ٤٩ سنة وشبان الاغنياء الذين عمرهم عشرون سنة يعيشون ايضاً ٤٤ سنة واما شبان الفقراء الذين من عمرهم فلا يعيشون ايضاً الاّ ٣٦ سنة . ويقل الفرق رويداً رويداً بين الاغنياء والفقراء حتى يبلغ نحو سنتين فقط في الشيخوخة الذين يبلغون ٧٥ سنة من العمر . ويظهر ذلك كله في الجدول التالي وهو عن ثلاث سنوات — من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٠

الافغناء	الفقراء	متوسط ما يعيشه الطفل
٥٠,٨	٣٦,٥	متوسط ما يعيشه ايضاً ابن ٥ سنوات
٥٧,٤	٤٨,٧	" " " " " " "
٥٣,٣	٤٥,٠	" ١٠ " " " " "
٤٤,٢	٣٦,٤	سنة ٢٠ " " " " "
٣٩,٨	٣٢,٤	" ٢٥ " " " " "
٣٥,٥	٢٨,٦	" ٣٠ " " " " "
٢٧,٥	٢١,٩	" ٤٠ " " " " "
٢٠,٣	١٦,٢	" ٥٠ " " " " "
١٤,١	١١,٣	" ٦٠ " " " " "
٧,١	٥,٢	" ٧٥ " " " " "

اي لنفرض اننا نظرنا في توارخ الف طفل من اولاد الافغناء فترى بعضهم يموتون حال ولادتهم وبعضهم في السنة الاولى من عمرهم وبعضهم في السنة الثانية او الثالثة او الرابعة وهلم جراً وقد يعمر بعضهم مئة سنة او اكثر واذا جمعنا السنين التي عاشوها كلهم وجدنا مجموعها ٥٠٨٠٠ سنة . واذا فعلنا كذلك بالف مولود من اولاد الفقراء وجدنا مجموع السنين التي عاشوها كلهم ٣٦٥٠٠ سنة فقط

واذا اخذنا الف ولد من اولاد الافغناء عمر كل منهم عشر سنوات وجمعنا السنين التي يعيشونها كلهم بعد ذلك وجدنا مجموعها ٥٣٣٠٠ سنة . واذا اخذنا الف ولد من اولاد الفقراء عمر كل منهم عشر سنوات وجمعنا السنين التي يعيشونها كلهم بعد ذلك وجدنا مجموعها ٤٥٠٠٠ سنة . واذا اخذنا مئة شيخ من شيوخ الافغناء عمر كل منهم ٧٥ سنة وجمعنا السنين التي يعيشونها بعد ذلك بلغ مجموعها ٧١٠٠ سنة واذا اخذنا الف شيخ من شيوخ الفقراء عمر كل منهم ٧٥ سنة وجمعنا السنين التي يعيشونها بعد ذلك بلغ مجموعها ٥٢٠٠ سنة . (هذا في بلاد الانكليز واما في القطر المصري فمتوسط العمر اقل من ذلك كثيراً كما لا يخفى)

وليس المراد ان كل غني يعمر اكثر من كل فقير . كلا فان بعض الفقراء يعمر اكثر من بعض الافغناء وقد ترى شيخاً فقيراً عمره مئة سنة او اكثر ولا ترى شيخاً غنياً بالغاً هذا العمر ولكن المراد ان مجموع السنين التي يعيشها جمهور كبير من الافغناء هو اكثر من مجموع السنين التي يعيشها جمهور مثله عدداً من الفقراء . وبعبارة أخرى ان الام الغنية يعمر افرادها اكثر مما

بمراعاة التدابير الصحية
 بمرافق الامم الفقيرة او ان الغنى يطيل العمر والفقر يقصره كما ان مراعاة التدابير الصحية
 تطيل العمر بنوع عام وعدم مراعاتها يقصره . فالعلم والغنى والراحة والرفاهة تأول كلها الى اطالة
 العمر وازدياد عدد السكان ولكنها قد تأول الى امر يقل به عدد السكان وهو قلة المواليد اما
 لضعف في البنية او لخوف من تعب الولادة ونفقات الاولاد . وهذا هو السبب الاكبر الذي
 ابقى عدد السكان في فرنسا على حاله منذ سنين عديدة الى الآن مع توفر اسباب الراحة
 والرفاهة لم فاذا زالت الاسباب التي تقلل المواليد فالامم التي تعتنى بالتدابير الصحية تعمّر
 وتنمو أكثر من غيرها

حياة الجماد

من مقالة للمسيو داستراحد اساتذة مدرسة السوربون في باريس

يسدر الى الذهن لاول وهلة انه لا يمكن ان يكون بين الاجسام الحية وغير الحية مشابهة
 جوهريّة اذ اي شبه بين الحجر والشجر والاسد فان مقابلة الحجر الجماد بالحيوان المتنقل والنبات
 النامي تبجلي عن اختلاف عظيم بينها وتوضح لنا ان بين الاجسام الحية وغير الحية بعداً شاسعاً
 واول اختبار الانسان يؤيد هذا القول والابحاث السطحية توافقه فينشأ الطفل ويشبّه
 وهو يرى ان الحيوان والنبات يفرقان عن الجماد فرقاً عظيماً جداً . ولكن كلما زادت معارفنا زدنا
 ارتياباً في عظم ذلك الفرق وتبين لنا انه لا تصحّ قسمة الاجسام الى حية وغير حية حتى صار
 العلماء يحدّثونك عن حياة الجماد وهم انما يقولون ذلك لانهم يرون في بعض انواع الجماد
 كثيراً من اوصاف الحياة وفي اجسام اخرى دلائل خفية تدلّ على علاقة الاجسام الحية بغير
 الحية . مثال ذلك ان بعضهم رأى في الاجسام المتبلورة معظم اوصاف الاجسام الحية فان
 لها شكلاً محدوداً وميلاً الى اتخاذ ذلك الشكل دائماً واصلاحاً مما يطرأ عليه من الطوارئ
 وجمها يزيد من السائل الذي تتكون منه . واغرب من ذلك ان فيها جميع مزايا التوليد .
 وظهر لبعض العلماء الطبيعيين ان عدم تغير بعض الاجسام التي يظن عادة انها اصلب من
 غيرها وعدم تحركها مثل الزجاج والفولاذ والنحاس وغيرها انما هو امر ظاهري فقط . فان
 تحت سطح الجسم الذي يظهر لنا جامداً لا يتحرك دقائق تتزاحم وتجاوّل وتترتب على اشكال
 محدودة مطاوعة لاحوال ما يحيط بها . وقد يمر عليها سنين طويلة قبلما تتخذ لها شكلاً
 تبقى عليه دائماً

ولزيادة الايضاح نذكر الاوصاف الجوهرية التي تمتاز بها الاجسام الحية وهي الاوصاف التي يقال انهم وجدوها في الاجسام غير الحية ايضاً بلا زيادة ولا نقصان . ويقسم الكلام في ذلك الى سبعة ابواب تحتها فصول

الباب الاول

في الحياة عموماً وفيه فصلان

الاول آراء الاقدمين والشعراء . والثاني آراء الفلاسفة

﴿ آراء الاقدمين والشعراء ﴾ ان ما يقوله العلم عن مشابهة الاجسام غير الحية للاجسام الحية يطابق تصورات الاقدمين والشعراء في ذلك . فقد كان الاقدمون يعتقدون ان جميع الاجسام الطبيعية حية كانت او غير حية اعضاء جسم حي عام سموه بالجسم الحي الكبير احترازاً من الجسم الحي الصغير اي جسد الانسان . ونسبوا اليه قوة حيوية تدير حركاته وتسيطر على اعماله وتشبه القوة الحيوية التي في الانسان . وقوة عقلية تدرك تلك الاعمال وتشبه نفس الانسان . وقد كان لتلك الحياة العمومية او النفس العمومية شأن عظيم في نظام ما وراء الطبيعة الذي وضعوه . وجرى الشعراء ذلك المجري فكان دأبهم تجسيم الاشياء الطبيعية لتقريبها من افهام الناس وتصوراتهم ونسبة الحياة او الروح الى ظواهرها فقال احدهم " لكل شيء من الاشياء صوت فالريح صوت وللهب صوت وللأمواج والاشجار والاحجار صوت . وهي تحيا ولكل منها روح داخله " وسموا اصوات الظواهر الطبيعية باسماء خصوصية مثل هزيم الرعد وحفيف الشجر وجمجمة الرحي وصرير الباب وزفير النار وما اشبه

﴿ آراء الفلاسفة ﴾ كان طاليس الفيلسوف اليوناني يعتقد ان كل الاجسام الطبيعية ذات حياة وكذلك كبر العالم الفلكي فانه كان يقول ان الكرة الارضية حيوان كبير يتأثر بحركات النجوم فيخاف دنو بعضها منه ويبيد خوفه بالزواجع والعواصف والزلازل وان مد البحر وجزره تنفس ذلك الحيوان وانه يعرق ويفرز الفضول ويجري الدم في عروقه ويأكل وبعض طعامه ماء البحر فانه يتلعه باقية متعددة . على ان كبر عاد عن هذه الخرافات في اواخر ايامه وقال انه انما عنى بروح الاجسام السموية القوة التي تحركها لا غير

الا ان الفصل بين الاجسام الحية وغير الحية بدأ من عهد الفلاسفة الذين ادخلوا في العلم مبدأ بقاء الحياة والارتقاء واولهم لبتنز فقد قال " انه لا توجد مملكة غير آلية بل الموجودات كلها آلية تشمل جميع صور الجماد والنبات والحيوان . وان لاشيء خال من الحياة بل الحياة عامة لكل شيء " فيترتب على هذا القول انه ليس ثمة فرجة او حلقة مفقودة في سلسلة الظواهر

الطبيعية وان كل شيء يورثي شيئاً فشيئاً وان الموجودات غير الآلية اصل الموجودات الآلية .
واما الحياة فلم تكن موجودة على وجه الارض دائماً بل ظهرت في احد العصور الجيولوجية بسبب
ملاءمة الاحوال ولكن مبدأ بقاء الحياة يضطرنا الى التسليم بان الحياة لم تكن معدومة حقيقة
بل حكماً وانها كانت على صورة اولية خفية

وذهب بعض الفلاسفة المحدثين مذهب لبنز فقالوا ان المادة الحية وغير الحية ليستا
نوعين مختلفين بل صورتان من مادة واحدة مختلفتان في درجتهما وكثيراً ما يكون اختلافهما
قليلاً جداً . فاذا كانت المسألة مسألة اختلاف في الدرجة فلا تناقض كالبرد والحرفان هما ليسا
متناقضين بل هما درجتان مختلفتان من درجات الحرارة

هذا وان ما يحملنا على ازالة الحد الفاصل بين المملكة الآلية والمملكة غير الآلية والاعتقاد
بان في الجماد اصول حياة اولية هو نفس ما يحملنا على التسليم بانه ليس بين الظواهر الطبيعية
الاخرى فرق جوهرى اسامى غاية ما في الامر درجات تحول وانتقال بين الجسم الحى
والجسم غير الحى والجسم العاقل والجسم غير العاقل والفكر وعدم الفكر والمدرک وغير المدرک .
فهذا الانتقال من الشيء الى ضده حسب الظاهر يخالف اخبارنا العادى ولكن الذين يعرفون
ما للظواهر الطبيعية من الدرجات غير المتناهية يسلّمون بالانتقال المذكور . فلا عجب بعد
هذا اذا حذا العالم حذو الفيلسوف وذهب الى ان في الجماد اثراً من الحياة وان فيه جميع
الصفات الجوهرية التي تميز الاحياء . ولكن لابد له اولاً من ان يبرهن على وجود تلك الصفات
بالمشاهدة والاعتجان وعلى ان الجواهر الفردة ودقائق المادة ليست مهيئة بل هي عناصر حية
متحركة لها صورة من صور الحياة الدنيا المشاهدة في جميع انواع المادة مثل الجذب والدفع
والتأثر بالمؤثرات الخارجية وتغير قوة التوازن وتجمع الدقائق على اشكال منتظمة طبقاً لتراكيب
محدودة وافراز مركبات كيمياوية مختلفة

وذهب الفلاسفة في بيان اوجه المشابهة بين المادة الحية وغير الحية الى ابعد من ذلك
فقالوا ان في قوى المادة غير الحية وخصوصاً القوى الكيماوية اثراً قليلاً من الاميال التي
تسلط على اعضاء الاجسام الحية اي الحس . فان رد الفعل الذي يصدر عن المادة غير الحية
يدل عندنا على وجود نوع بسيط من الشعور تستطيع تلك المادة ان تميز به بين النافع
وضده فتختار النافع وتبذ الضار . وهذا هو المبدأ العام في حركة الاشياء وعليه الفيلسوف
امبيدوكليس اليوناني . ويدبرو كبانه من الفلاسفة المحدثين ومعظم العلماء الماديين . فانهم التمسوا
في ادنى المخلوقات غير الحية اثراً للحياة والقوة العقلية التي يزرع شعاعها في فجر المخلوقات الحية

وقالوا ايضاً ان تمثيل المادة غير الحية للمادة الحية نتيجة طبيعية لصحة مبدأي بقاء الحياة والارتقاء . على ان في طبي هذين المبدأين مبدأ آخر لا يصريح اولئك الفلاسفة به جهاراً بل ضمناً وهو انه مهما تعددت تراكيب العناصر لم ينتج منها مركب جديد يختلف في جوهره عن جوهر العناصر التي يتركب منها . فديدرو وكبانه يقولان ان الانسان صلصال حي وهو ايضاً حيوان عاقل . ولما كان يستحيل نشوء العاقل من غير العاقل فلا بد ان يكون الصلصال قد احنوى اصل العقل . ولكن ألا يمكن ان يكون العقل نتيجة ترتيب دقائق الصلصال . فاذا انكرنا ذلك وجب ان ننكر ايضاً ان اختلاف الترتيب والتنظيم في المادة المرتبة المنتظمة يفضي الى خاصة جديدة تختلف عن الخاصة التي كانت لها قبل ذلك الاختلاف . وقال فيلسوف آخران البروتوبلازم الحي انما هو مجموع عناصر بسيطة ولا بد لتلك العناصر من ان تحوي مبدأ الحياة . وعليه فاذا لم تكن الحياة في كل عنصر فلا يمكن ان تنتج عن اتحاد العناصر واثلاثها وقال العالم لدانتيك ان الانسان وسائر الحيوانات مجموع جواهر . واهون على المرء ان يسلم ان الادراك الانساني ناتج عن مبادئ الادراك المتضمنة في الجواهر التي يتألف منها من ان يعدّه ناتجاً عن تركب عناصر لا اثر للادراك فيها . وقال هيكلم ان الحياة عامة لكل المواد ولا يمكننا ان نتصور وجودها في مركبات المادة ما لم نتصور وجودها اولاً في العناصر التي نتركب المادة منها . واليك طريقة استدلالهم للوصول الى النتيجة المتقدمة ان عوامل الترتيب والتجمع والتركيب لا تحدث في جسم مركب شيئاً جديداً يختلف في جوهره عن جوهر العناصر التي يتألف الجسم منها . والتجمع يكسب الجسم المركب خاصة هي نفس الخاصة التي في عناصره البسيطة ولكن ارق منها . على ان ما يعدّه بعضهم اولية تستغني عن البرهان ليس في الحقيقة اولية فهم يظنون قولهم ان ليس في المركب شيء لا يوجد في العناصر التي يتألف منها اولية بديهية لا تحتاج الى اثبات وهي في الحقيقة فرض يفرضونه . وقولهم ان ترتيب المادة وتجمعها على اشكال عجيبة لا يحدثان فيها شيئاً جديداً قول يفترق الى اثبات

ولنطبق هذا المبدأ على الكائنات المرتبة فنقول ان جميع الكائنات الطبيعية هي في الحقيقة ترتيبات ومجموعات مؤلفة من مادة واحدة . وينتج عن الفرض المتقدم انها تختلف بعضها عن بعض في الكمية والشكل لافي الكيفية او الجوهر اذ يمكننا ان ننقل من واحد منها الى الآخر ولا نجد بينها ما يعترض في سبيلنا . فيظهر من ذلك ان ناموس بقاء الحياة نتيجة بسيطة للفرض الاساسي وهكذا يقال في ناموس النشوء والارتقاء

وهذه القاعدة ليست مخصصة بفريق من العلماء دون الآخر فان لبتز لم يكن من العلماء الماديين ومع ذلك فإنه نسب الى عناصر المادة وجواهرها حياة بل نوعاً من الفكر . وكذلك الاب بوسكوتش اليسوعي واحد اساتذة كلية رومية فإنه نسب الى الجواهر نوعاً من الحياة الدنيا . وسان توماس فإنه قال ان للاجسام غير الحية نوعاً من الحركة والميل الى بعض الاشياء دون غيرها

الباب الثاني

وحدانية الاجسام الحية وغير الحية

وهناك طريقان للبرهان على كون المادة الحية وغير الحية شيئاً واحداً في الجوهر . احدهما ان نظهر للعيان اشتقاق الاحياء العليا من الاحياء الدنيا وذلك يستلزم ان نصنع جسماً حياً تاماً بجميع اجزائه سواء كان نباتاً حقيراً او حيواناً دنيئاً من مواد غير حية . فان استطعنا ان نفعل ذلك كان برهاناً لا يرد على ان جراثيم الحياة كامنة في دقائق الاجسام غير الحية . ولكن هذا غير مستطاع والعلم قاصر عنه . وهذه الطريقة هي ما يسمونها بالتولد الذاتي . فقد كان القدماء يعتقدون بها حتى بين الحيوانات المرتقية في سلم الخلق وعليه قال فان هلمونت ان الفيران تخلق من الخرق الخلقة المخلوطة قحاً باختيار لا تعرف كيفيته . وذكر ديودورس انهم شاهدوا حيوانات تتولد من طمي النيل وهي غير تامة الخلقة . وكان ارسطو يعتقد بتولد بعض انواع السمك على هذه الطريقة . ورأى الراعي الذي ذكره فرجيل الشاعر الروماني الشهير في قصائده اسراب النجل تتولد من جنبي ثور ميت . وكانوا يعتقدون ايضاً ان الذباب يتولد من اللحم الفاسد والدود من الاثمار والامعاء

وطريقة التولد هذه نبذت الآن بعد ان ضربها باستور الضربة القاضية فإنه أبان ان اسط الاحياء المكرو سكوبية خاضع للناموس العام وهو ان كل حي لمن حي آخر على انه وان لم يتيسر للانسان اثبات طريقة التولد الذاتي او تولد الحي من غير الحي الا ان هيكل يقول انها كانت الطريقة التي تولدت بها الاحياء الارضية قديماً حينما اخذت الكرة الارضية تبرد وقشرتها تجمد والبخار المائي المحيط بها يتكاثف فنشأ عن ذلك احوال ملائمة لظهور الاحياء الاولى التي تولدت منها الاحياء المعروفة تدريجاً . ويقدر اللورد كلفن ان ذلك جرى منذ عشرين او اربعين مليون سنة . ويقول معظم الفسيولوجيين انه اذا عرفنا تلك الاحوال تماماً وامكننا احداها لم يبعد ان نتوصل الى نتيجتها اي ان نصنع جسماً حياً تاماً الاجزاء من المواد غير الالكية . والذين يذهبون هذا المذهب يقولون ان قصور التجربة والامتحان من هذا

القبيل انما هو وقتي^١ وسبب^٢ قلة معرفتنا وضعف وسائلنا وعليه فليس ثمة ما يدل على ان احداث الحي من غير الحي مستحيل^٣

اما اهل البيولوجيا فلا يرون هذا الرأي كلهم . بل ان عدداً كبيراً منهم يؤكّدون انّه يستحيل نشوء الحياة من اجتماع المواد غير الآلية بالقوى الطبيعية ويقولون انّه لا يمكن ان تكون الحياة قد نشأت على وجه هذه الارض بفعل المادة غير الحية والقوى التي لاتزال تحتسلط عليها الى الآن . ومن هؤلاء العالمان كوهن ورختر الالمانيان فانهما يقولان ان الحياة لم تنشأ في ارضنا بل نقلت اليها من عالم آخر على صورة جراثيم تشبه الخلايا التي تركب الاحياء منها عندنا على ما هو معلوم . وهي اما ان تكون قد نقلت اليها بواسطة الشهب والنيازك التي تنقض علينا من الفضاء او انها وصلت اليها من الفضاء على صورة غبار كوني^٤ . وصاحب المذهب الاول كاتب فرنسوي اسمه الكونت دي سال جيون ومذهبه ليس بعيداً عن الصحة كما قد يدر الى الذهن فان كلفن وهلملتز وافقاه عليه على بعد شهرتهما وعظم خبرتهما بهذه الشؤون . ثم انّه يظهر من تحليل طيف السدام المخصص بذوات الازناب ان فيه مادة هيدروكربونية . وقد وجدوا الكربون ونوعاً من المادة الآلية في كثير من النيازك ايضا

ولكن هناك اعتراضات كثيرة على هذا المذهب منها ان وجود الجراثيم الكونية منافض لنواميس النشوء والارتقاء . ومنها ان الشروط اللازمة للحياة لا توجد في الاجسام التي بين السيارات (كالشهب والنيازك) . ومنها ان النيازك تحمى متى بلغت جو الارض الى حد ان حرارتها تमित كل ما يمكن ان تنقله اليها من الجراثيم . ولكن هلملتز يردّ هذا الاعتراض بقوله ان حرارة النيازك سطحية لا تصل الى داخلها فتسلم الجراثيم التي هناك . اما المذهب الثاني فمذهب رختر وكوهن كما تقدم وما له ان الجراثيم الحية الاولى بلغت ارضنا ممزوجة بالغبار الكوني الذي يعوم في الفضاء ويتساقط الى الارض على الدوام . ومن الاعتراضات على هذا المذهب انّه ان سلمت تلك الجراثيم بسقوطها البطيء من الحرارة الشديدة التي تصيب النيازك بسقوطها السريع بقيت معرضة لفعل اشعة النور وهي تقتل الجراثيم عادة

ومن العلماء من لا يسلم باحد هذين المذهبين ولا يرى ما يوجب فرض انتقال الاحياء الاولى من العوالم الاخرى اليها بل يقول ان الاحياء وجدت على الارض في كل زمان حتى الزمان الذي كانت الارض فيه شعلة من نار ولكنها لم تكن نفس الاحياء التي نعرفها الآن اذ لا بد ان تكون قد تغيرت تغيراً عظيماً على مر الدهور . فان الاحياء الاولى كانت تختلف كل الاختلاف عن الاحياء الحاضرة التي يخلط نظامها بارتفاع الحرارة ارتفاعاً قليلاً .

وهذا المذهب يظهر اقرب الى الفرض منه الى الحقيقة واشبه بتصورات كبلر وغيره من اصحاب المذاهب الخيالية ولكنه مطابق من بعض الوجوه لآراء المحدثين في حياة المادة ووجه مطابقته لما في ما ينطوي عليه من الارتقاء في مواد الكرة الارضية

وصاحب هذا المذهب براير ومن رأيه ان الاحياء الاولى وجدت في النار ثم طراً عليها ما طراً من التغير فباتت على مثل ما نراها الآن . ومع ما طراً عليها من التغير العظيم لم يتغير عددها بل ان مجموع الاحياء في الكون بقي على ما كان عليه

هذه هي اراء الشعراء وعلماء ما وراء الطبيعة والفلاسفة في حيوية الاجسام غير الحية ولكن العلم الحديث ينظر اليها نظراً آخر ويرى ان فيها اثراً لعمل العوامل التي تنسلط على الاجسام الحية وخواصها الاساسية

(ستأتي البقية)

مصطفى فهمي باشا وتجران باشا

نقلًا عن المقطم

لما اشتد في العاصمة الحرق من الصدر وعيل الصبر فللنا التعبير والتجوير ورحلنا عن العاصمة وهجرنا الهجير وجئنا رمل الاسكندرية النضير نشرح الصدور بنسيم العليل ونعش النفوس بشمائل البليل فالفينا مصيفاً تم اعنداله وشغف القلوب جماله وقرب على سكان العاصمة وصاله . البحر يرسل النسيم اليه والرياح والحدائق تنثر الورود عليه ولطف اهله يجعله جنة الانس للقادم اليه فحمدنا الله على انه كان نصيبنا في هذا الصيف ولم نخسر على فراقه كما تخسر الذين قصدوا اوربا فوجدوها شبه سقر من شدة الحر ولا عايننا من صروف الايام ما يعاين المصطاف في بر الشام . واسعدنا الحظ بمنزل في الابريمية اجتمعت فيه اسباب الزهرة والراحة والتسلية فالبحر يرغي ويزبد على اركانه وامواجه تنففس نهراً وليلاً تحت جدرانها والنسيم البليل لا ينقطع لحظة عن سكانه . وجماهير المتنزهين على الشاطئ يؤنسون ساعات الوحشة ووقوعه بين الناس في اطراف المنازل يجعله شبه قاعة الاجتماع لطالب التسلية والحاضرة وشبه صومعة المعتزل لطالب التأمل والتفكير . ومما زاد توفيقنا به توسطه بين صحب لنا من خيرة الانام وصفوة القوم الكرام فركوب الترام هنيئة من الزمان يوصلنا غرباً الى الاسكندرية حيث الاخوان والخلان يضيق عن عدم المقام ويعجز عن وصف لطفهم اللسان . ويوصلنا شرقاً الى قصر حضرة المائل الخواجا وهي كرم الذي فاق قصور الرمل في عظمته

وزخرفته وزينته الى منزل صهره الوجهه الاديب الخواجا ديمتري خلاط ومنزل حضرة
الوجهه الماجد الخواجا جورج كرم وحضرة صهره الوجهه الخواجا الياس دباس ومن جهة اخرى
الى قصر سعادة الهام سبابا باشا مدير البوسطة العام حيث لطف السكان يحكي بهجة المكان
وغير ذلك كثير من المنازل والقصور حيث الاصدقاء والخلان ميثوثون الى ما وراء سان ستفانو
والسراي عدا الخلان والجيران النازلين على قرب منا في الابراهيمية نفسها ونحوهم من الافاضل
الذين سبونا بانسهم ولطفهم واسرونا بحميلهم ومعروفهم في زيارتهم وأنسونا بالمحاور والافلام
بهجة اجتماعهم وكرمهم في ولائهم ودعواتهم وحسن مسامراتهم في منزهاتهم
اخبار الجرائد المحلية

بينما كنا بالامس جالسين على شرفة تطل على البحر والامواج الخضر تنعالي تحت اعيننا
ثم تنقلب وتصدد الصخر فتكسو الشاطئ حلة ناصعة البياض . ثم تعود وهي تعج وتغيب في الخ
اذا الخادم قد اتانا حاملاً الجرائد المحلية التي تصدر في العاصمة والاسكندرية فقلبنا النظر
فيها فاذا بعضها ينعي المرحوم تجران باشا الذي مثل في زمانه دوراً عظيم الشان على مروج
السياسة المصرية . وبعضها ينشر كتاباً من ابراهيم بك الهلباوي المحامي يفصح فيه عما يجد في
نفسه من السرور بالسفر مع عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس نظار مصر في باخرة واحدة لان
سفرتة يسرت عليه محادثة عطوفته والتمتع برقته والاطلاع على آرائه القانونية والاجتماعية
ويعترف في غضون ذلك بان كل ما كتبه وما قاله ايام ما كانوا يسمونه "بالنهضة المصرية"
كان خطأ في خطأ واضغات احلام صادراً عن قلة التجربة والاخبار وعدم معرفة حقائق
الامور . ويقول ان الجفاء الذي كان يشعر به ايام تلك "النهضة" عند نظره "الى شخص
عرف بانه موالٍ للاحتلال — يعني به مصطفى باشا فهمي — قد تبدل الان بحجة واحترام
حيث دلت التجارب على ان مقاومة الاحتلال ان لم تجلب ضرراً فلا تفيد فائدة . دلنا
التجارب على ان البناء الذي كنا نسعى لتدعيمه والاستغلال بظلمة قائم على اساس ضعيف" اه
هذه الاقوال خطها قلم ابراهيم بك الهلباوي ونشرتها جريدة المؤيد في هذه الايام كما خط
قلمه المقالات التي عنوانها "الى اي طريق نحن مسوقون" ونشرتها جريدة المؤيد حين
"النهضة" في هاتيك الايام

وتصفنا جرائد اخرى سميت منذ ايام النهضة "بالجرائد الاسلامية" تميزاً لها عن
سائر الجرائد المصرية فالفينا فيها طعناً صارعاً في الشيخ علي بوسف صاحب المؤيد ووصف سخط
الرأي العام لما فعل بفضيلة السيد احمد عبد الخالق السادات ووصف سقوطه عند الجمهور

وانحطاط منزلة جريدته عند قرائها الى غير ذلك مما يشعر بان اصحاب " الجرائد الاسلامية " مصممون على اسقاط المؤيد وصرع صاحبه ومحقق ثقة الجمهور به في هذه الايام كما رفعوا منزلته عند القراء واحلوه محل الثقة منهم تارة باقلامهم واقوالهم وطورا بافعالهم واموالهم ايام " النهضة "

اخبار طوتها الايام

فقراءة ما تقدم من الاسماء والاقوال هاجت اعماق النفس منا كما كانت الريح تهب على الجبال امام اعيننا واعادت الينا ذكرى حوادث مضت ورسوما بقيت على لوح الذاكرة بعد ان طوت الايام اصحابها وعفت المنون آثارهم فتذكرنا ليلة من ليالي أكتوبر سنة ١٨٩٢ كنا قد اتينا فيها من عناء يوم كثير الاشغال والمهموم وجلسنا على شرفة المنزل في القاهرة نلتبس الراحة بالانفراد والسكون واذا جرس الباب يقرع فلما فتح الخادم دخل صديق تحت جنح الغسق وطلب مقابلتنا في الحال وكان رحمه الله من الاصدقاء الذين اشد الوداد بيننا وبينهم فأدخله الخادم الينا بلا امهال وكانت لوائج القلق والاهتمام تلوح على وجهه . فما لبث ان جلس حتى كاشفنا بسرّه فقال علمت من فلان وفلان — وكلاهما ثقة عندكم في صحة الاخبار — اننا مشرفون على انقلاب واضطراب واختلاط واختباط فان الجنب العالي مصمم على امر جليل وفعل خطير سيكون من بعده صراع شديد ونزاع كثير وقد عزم ان يجعل فاتحة تصميمه اسقاط الوزارة الفهمية واستبدال عطوفة مصطفى فهمي باشا رئيس النظارة بسعادة تجران باشا ناظر الخارجية فان تجران باشا حاز المكانة العظمى عند سموه منذ كان سموه يطوف الوجه البحري في سياحته التيلية وادرك المنزلة العليا في ثقته لانه اقنعه ان نفوذ الاحلال يعاوفي مصر ويتعاظم حتى فاق كل نفوذ سواه فيخشى على المصالح الخديوية والمصالح الوطنية ان تضيع بالاستسلام الى المحتلين ومطامعتهم على مرادهم ولذلك يجب ان يعارضوا على يد وزارة وطنية قوية تناقشهم حساب كل كبيرة وصغيرة وتوقفهم عند حدهم بقوة الاتحاد وشدة المعارضة والجري على خطة مخالفة لخطة الوزارة الفهمية . قال صديقنا رحمه الله وانتم تعلمون ان سمو الامير جلس على الاريكة الخديوية منذ عهد غير بعيد آتيا من مدرسة الطريزيانوم في النمسا حيث كان يلقي المعارف والعلوم مع شبان مثله احدث في السن فلم يخبر الرجال ولا عرف بعد متاعب الملك ومصاعب الحكم فاجبت احوال الذين زينوا له الاستقلال والنهي وسهلوا عليه التخلص من الاحلال ووعدوه ان ينيلوه ماتمى بما يبدون من العزم والحزم في معارضة المحتلين فوثق سموه بهم وصمم على عزل مصطفى باشا فهمي وتقليد تجران باشا منصب رئاسة النظارة في اول فرحة

وكان صديقنا بورد في غضون كلامه حوادث مطابقة لخبار كنا سمعناها ويشرح امورا كانت قد اتصلت بنا ولكن خفي علينا مغزاها فما اتم كلامه حتى ايقنا بصحة خبره ونشرنا في الغد خبرا وحيزا في المقطم ذكرنا فيه العزم على اسقاط الوزارة الفهمية صريحا ولحنا الى تقليد تجران باشا رئاسة النظارة وسائر ما تقدم من الكلام تليحا

فما ظهر هذا الخبر حتى ذاع ذلك السر المكتوم وتحدث به القريبون والبعيدون ووردت المسائل على ادارة المقطم تترى كما هو المعتاد في كل خبر يهيج الجمهور . واتفق ان عطوفة مصطفى باشا فهمي كان حينئذ في طريقه عائدا من مصيفه في اوربا فلما رست به الباخرة في ميناء الاسكندرية كان بين الذين ذهبوا للقائه جماعة يحملون اعداد المقطم الحاوية الخبر فما انتهوا من السلام عليه حتى سألوه عن صحة الخبر فأجابهم انه لم يسمع ذلك الا منهم وان خبر المقطم ربما كان طعما لصيد بعض الطامعين بالوزارة لا اقل ولا اكثر . ثم جاء العاصمة وقال للمرحوم البارون مالورتي مدير المطبوعات حينئذ اري ان المقطم قد نشر خبرا عاريا عن الصحة هاج به الخواطر فيحسن تكذيبه . فكتب اليها البارون مالورتي كتابا بهذا المعنى ووصل الساعي بالكتاب ونحن نهمم بالركوب لبعض المقابلات . فتناولنا الكتاب ومررنا بالبارون في طريقنا فقابلنا بالعتب الشديد على نشرنا خبرا لا يضر ولا يفيد قبل ان تتحقق صحته وقال اننا لو سألناه عنه قبل نشره لآخبرنا انه من الاشاعات الباطلة البعيدة عن الصحة واطال رحمه الله في العتاب بما دلنا على انه لم يكن يعلم شيئا مما كان جاريا في تلك الايام وطلب منا تكذيب الخبر في الختام

فتبسما وقلنا انك توافقنا يا جناب البارون على ان الجرائد انشئت لنشر الاخبار الصادقة لا لتكذيبها ولا لاختفاء الحقائق عن قرائها حتى لا يعلموا بوقوع خلاف بين اعضاء الوزارة او بعزم الامير على اسقاط الوزارة واقامة أخرى مقامها فقاطعنا في الكلام قائلا اني اؤكد لكم ان الخبر غير صحيح ولولا ذلك لم اطلب تكذيبه فاجبناه ونحن نؤكد لك ان الخبر صحيح ولولا ذلك لم ننشره اذ لم نقدم على نشره ونحن جاهلون عواقب نشره . فقال اذا قصدكم ان لا تكذبه

قلنا هذا هو قصدنا ولوساء عطوفة رئيس النظار ذلك منا لان عطوفته يكون اول مستخف بنا اذا رآنا نكذب خبرا اليوم ثم نعود فنثبت صدقه غدا . فقال ولكن الجرائد الاخرى تكذبه

قلنا افعل ما بدا لك وودعناه وانصرفنا والظاهر ان اجوبتنا اثنته عن عزمه ولو لم نثنا

أقواله عن عزمنا فانا لما فرغنا من مقابلاتنا وعدنا الى ادارة المقطم وجدنا منه كتاباً ثانياً يسألنا فيه ان نقابل رئيس النظار . فاستقبلنا عطوفته عشيّة ذلك النهار بوجهه بامر خلافاً لما اشتهر عنه من مقابلة زائريه بوجهٍ بشوش وكنا كلاماً يقطر العتب بل الغضب منه زاعماً اننا قد صدنا القاء الشقاق والنفور بين الاخوان المتفقين قضاءً لما رب بعض الطامعين واننا لم نزل متممين ذلك لامتناعنا عن تكذيب خبر ليس فيه من الصحة اثر

فساءنا ذلك الجفاء ممن لم نكن نسمع منه الا كل كلمة طيبة قبل هذه الحادثة ولم نر منه بعدها غير ما يسي من اللطف والدعة ودماثة الاخلاق ولين الجانب على طول معرفتنا به وكثرة محادثتنا له . ولكننا كظمنا الغيظ واجبناه بالايجاز قائلين اننا لم نقصد من نشر الخبر الا القيام بواجب الصحافة . ولو لم نكن مقتنعين بصحته لما تأخرنا عن تكذيبه . ومع ذلك فقد نشر الخبر وقضي الامر فما على عطوفته الا الصبر فان كان كاذباً كذبت له الايام وان كان صحيحاً قبل عطوفته عذرنا والسلام . ثم استأذنا وانصرفنا ونحن نتأفف من صناعة ان صدق صاحبها فيها سوء وجهه وان لم يصدق اتعب ضميره واغضب ربه

وبعد زمان غير طويل اخذ المستور في الظهور ووقع الجذب والدفع بين ولاية الامور على غير علم من الجمهور . ثم مرض مصطفى باشا مرضاً ثقيلاً في اواخر سنة ١٨٩٢ حتى لم يرجع كثير من له الشفاء فأراد الجنب العالي تعيين المرحوم تجران باشا رئيساً لنظاره وبإي جناب اللورد كرومر ذلك وكان من جراء ذلك ما كان مما لا يزال محفوظاً في الازهان . وقامت الجرائد المصرية حينئذٍ على مصطفى باشا قومة واحدة فلم تترك ذماً ولا لوماً ولا هجواً ولا هجراً الا رمت به وكان اقل طعن تطعن عليه به قولها الخائن المائن العاصي مولاه الناكث عهد وطنه . وكانت جريدتا الاهرام والمؤيد حينئذٍ في طليعة الجرائد العربية الحاملة عليه والجرائد الاخرى تحذو حذوها وتردد صدق اقوالها ولكن خالفها المقطم وثبت في وجه الاحزاب الرافعة رايلت ” النهضة ” وظل ينادي على رؤوس الاشهاد ان سياسة مصطفى باشا والافراد الذين يعدون على الاصابع لقتلهم من المجاهدين برأيه هي سياسة الحكمة والرشاد النافعة للامة والبلاد واما سياسة العداوة والمقاومة فعواقبها غير نافعة ولا مأمونة بل ربما كانت وخيمة

وليس من غرضنا ايراد ما كان من الصراع والقراع في ساحات الحرب التي اشتبكت فيها اقلام الادباء والكتّاب في هاتيك الايام وانما نقول ان ابراهيم بك الهلباوي كان من الذين جالوا جولات عظيمة فيها وصالوا وطلالوا وتحاملوا وتناولوا تحت راية ” النهضة ” . ومن الاقوال السائرة عند الاوربيين ان التاريخ يعيد نفسه . وقد صبح هذا القول في صاحب المؤيد فان

من يتذكر الاقوال التي كان يطعن بها على مصطفى باشا فهمي وحزبه ايام " النهضة " وقرأ
الاقوال التي تطعن بها عليه الجرائد الاسلامية بسبب قضيتيه مع السادات في هذه الايام
يقول ان تلك الجرائد انما ترد اليه اقواله وتكيل له بالكيل الذي كان يكيل به لغيره . فليعتبر
بذلك اصحاب الصحف الحديثة اليوم قرب اقوال يقولونها وصحفهم قليلة التأثير وضیعة الشأن
يجرعون سمها الزوام بعد ما يعظم شأنها على مر الزمان

وبعد ما سقطت الوزارة الفهمية وعقبته الوزارة الرياضية الاخيرة في ابان الانقلاب
والاضطراب وهيجان البلاد صعد عطوفة مصطفى باشا فهمي في النيل وسافر الدكتور ملتن
معه ليرضه ويعتني به حتى يسترجع عافيته ولما عاد الى العاصمة وصار قادراً على مقابلة الزائرين
عدناه في جملة الزائرين القليلين فصالحنا شديداً وذكر الخبر وما جرى بيننا بسببه وقال اصبت
في ما نشرتم وفي ما فعلتم ولا تستغربوا شدة انكارى خبركم فسلم النية لا يظن في الناس الا
سلامة النية

سياسة تيجران باشا

قلنا ان المرحوم تيجران باشا لم يقلد رئاسة النظار ولكنه بقي مدة خدمته في الحكومة قوة
محركة وحركة فعالة له الكلمة النافذة والمكانة السامية عند الحضرة النخيمة الخديوية حتى كانت
احزاب " النهضة " تعدّه اليد المديرة في الوزارة الرياضية الاخيرة . وشاع يوماً ان الحكومة
المصرية ساعية في انقاص جيش الاحتلال او في ارجاعه عن هذه الديار وان نظارة الخارجية
المصرية تفاوض نظارة الخارجية البريطانية رأساً في ذلك فزنا المرحوم تيجران باشا اول
زيارة في منزله وسألناه عن تلك الاشاعة فأجابنا بابداء الدهشة والاستغراب وافضى بنا ذلك
الى حديث طويل تحقّقنا فيه بالخبر ما كنا نسمعه بالخبر عن حريته في مجاهرته بضميره
والنصریح برأيه وعن ذكائه وسرعة خاطره وتسرع في الامور وحدثه والاقدام على الاشياء
قبل تقديره موضع قدمه وعاقبة خطوته . واعجبنا منه ما كان يبدو عليه من العظمة والهبة
التي يقل انه ورثها عن ملوك الارمن اجداده من جهة ابيه كما ورث حرية الضمير عن اجداده
الانكليز من جهة امه

ومن جملة الاقوال التي قالها لنا حينئذ في الدفاع عن سياسته وتحطئة السياسة التي يشير
بها المقطم . اني انا وابي من قبلي صرنا مصريين ومصر صارت وطننا فلا نعرف لنا وطناً غيرها .
وخديويو مصر امرؤنا واولياء نعمتنا . فحسن الوفاء والولاء يوجب علي خدمة وطني والانتصار
لاميري ومعارضة الاجنبي الطامع بأخذ وطني والحلول محل اميري فاذا فزت في معارضته

فقد نلت المرام وان اخفقت فحسبي اني فعلت الواجب عليّ وما افلحت . واما انتم فتشددون ازر الاجنبي على الوطني وتبغون ازالة المخللين حقوق الخديويين فسياستي ممدوحة ولو اخفقت فيها وسياستكم غير ممدوحة ولو فزتم فيها

فقلنا له ليس الامر كذلك يا سعادة الباشا بل كل منا يغني على ليلاه ويخطئ من يتوهم منا ان غايته اشرف من غايه سواه فكُن على يقين ان ما نقصده من الخير لاميرك ووطنك نقصده نحن مثلك وما غيرتك عليهما باشد من غيره غيرك ولكن الفرق بينك وبين غيرك هو في السياسة المؤدية الى ذلك فسعادتك تنزل الى ساحة الصراع قوياً وضعيفاً اولها الاجنبي وثانيهما الوطني ثم تطلب ان يكونا خصمين متعادين وتفرض ان مصالحهما متناقضة طبعاً مع انها متفقة في اكثر الامور اتفاقاً لا يكاد يكون له مثيل بين مصالح فريقين مشاركين او متحالفين . وتعرض بعد ذلك الوطني الضعيف على مبارزة الاجنبي القوي وتفري من لاسلح معه بهاجمة الممتنع في حصنه المدجج بسلاحه ثم نقول ان فاز الضعيف فقد نلنا المرام وان قهر وذل فقد فعلنا الواجب علينا والسلام . ونحن نقول ان ذلك ليس من الصواب بل حسن السياسة يوجب على الضعيف الابتعاد عن التحرش بالقوي واجتناب كل امر يؤدي الى وقوع التنازليينهما وتوخي كل واسطة توثق عرى الاتفاق والاتحاد بينهما . والقوي ليس هنا خصماً للضعيف بل انه نصير له يسالمه قولاً وفعلًا ويصون مصالحه ظاهراً وباطناً لان مصالح الضعيف مطابقة لمصالحه . فالواجب الذي لا يجوز للعقلاء ان يخلفوا فيه هو ان ينصخوا للضعيف دائماً بمسألة القوي والسعي في الانتفاع بقوته وعلمه ومساعدته واتخاذ صديقاً لاعداءه والا كان الضعيف معه كالساعي الى حنفيه بظلفه ونال القوي مراده منه رغم انه

فجز تجران باشا رأسه اشارة الى عدم الموافقة على رأينا ولسان حاله يقول " ان سياستكم هذه كلها كلام . وادمننا النظر الى عينيه هنيهة ثم حولنا الطرف عنه ولسان حالنا يقول " وسياستكم خطأ تظهره الايام " واستأذنا وانصرفنا وكان ذلك آخر حديث بيننا

ثم مضت الايام والاعوام وتجران باشا يتوارى عن عيون الجمهور ويبعد عن مراكز ادارة القطر ومحافل السياسة عاماً فعاماً حتى نسيته الجرائد وسكنت عن ذكره الالسنه بعد ان بقي موضوع حديث الصحف والمجالس الخصوصية والعمومية زماناً ولم يعد الجمهور يسمع عنه غير اخبار الذهاب والاياب في السفر او خبر ايلام وليمة او الدعوة الى وليمة وما اشبه . وقد رأى احزابُه تحلُّ وتضمحلُّ في غضون ذلك وسمع الزعماء والعقلاء فيها يعترفون بان سياسة مصطفى باشا فهمي كانت سياسة الصواب وان عطوفته رأى بعين عقله وبعد نظره في الامور مالم

بروه ثم الأ بعد مضي بضعة عشر عاماً في الاخبار والاطلاع على سير الاحوال . ووافته منيته فانقل الى رحمة ربه بعد ما كتب ابراهيم بك الهلباوي قائلاً بلسانهم في جريدة المؤيد ان النفور الذي كانوا يشعرون به من مصطفى باشا فهمي لانه اول شخص موالٍ للاحتلال قد تبدل بحجة واحترام وان البناء الذي كانوا يسعون في تشييده وتأنيده والاستغلال بظله قائم على اساس ضعيف

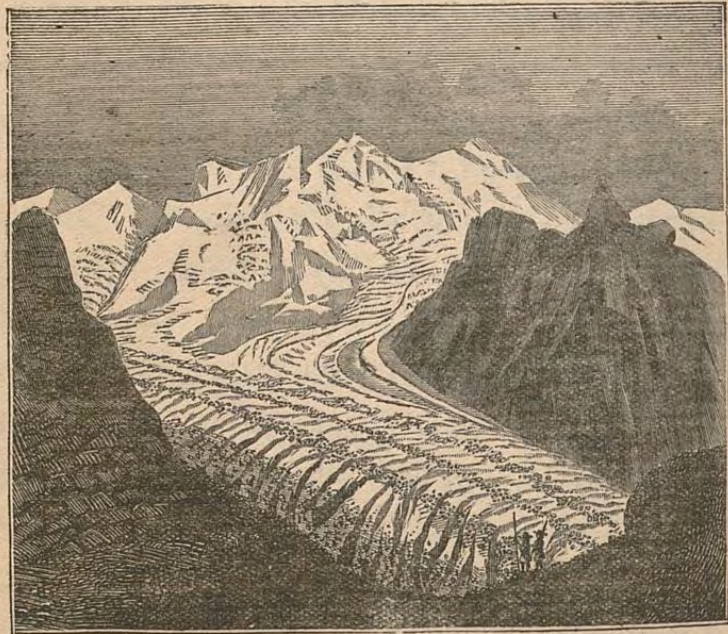
ولما تأملنا هذا التغير في رأي الجمهور ونحن نتتبع ادوار تغيره بسرور حانت منا التفاتة الى البحر فاذا موجة خضراء قد تعالت وتعاظمت حتى طغت على ما حولها ثم انقلبت وصدمت صخراً امامها فتفتست عليه وهي ترغي وتزبد وتطير زبدها في الجو حتى اخفى الصخر عنا ولم يبق غير مائها وزبدها امام اعيننا . ولكن لم يكن الا كلع القيس حتى ارتد ذلك الماء الى جوف البحر وغاب في لجه وانحسر عن الصخر فبان الصخر ثابتاً راسخاً في موضعه . فقلنا ما اشبه امر هذه الموجة بما يجري في تاريخ البشر من الحوادث والعبر فترانا نجتمع ونفترق ونختلف ونتنق ونهيج ونخبش ثم نسكن ونغيب في لجج بحر الدهر ولا يبقى الا الحق والصواب ثابتين كالصخر

التصعيد في الجبال

اذا وضعت عصاً على اخمص طفل عمره بضعة ايام انقبضت اصابع قدمه عليها كأنه يحاول مسكها . وقد يسهل رفع الطفل عن الارض بانقباض اصابع قدمه على العصا وتعلقه بها . ويقول البعض ان ذلك دليل على ان اسلاف الانسان الاولين كانوا يستعملون اقدامهم في اعتراش الاشجار كما يستعملون اياديهم وكما تستعمل القروذ اياديها واقدامها . وسواء صح هذا القول او لم يصح فالليل الى اعتراش الاشجار والتصعيد في الجبال غريزي في الانسان يظهر في صغاره ويرتاح اليه كباره ويقدم عليه غير مبال بما قد يؤدي اليه من المخاطر يخطر على بالنا الان ما فعلناه في سن الصبا فنستغرب اقدامنا عليه لولا هذا الخلق الفطري . وقفنا ذات يوم تجاه جبل صنين اعلى جبال لبنان فرائناه شامخاً يتأطج السحاب وكنا عند صفه على مقربة من نبعه وقيل لنا ان الطريق الى قنته بعيد طويل وانه قد يمكن الصعود اليها في خط مستقيم مواجهة . فشرعنا نصعد ولا مرشد لنا ولا دليل ولا شيء يقينا من التدهور الا اغصان البربريس الشائكة تشبث بها في بعض الاحيان . وجانب الجبل هناك مفروش بفتات الصخور لا تثبت فيه قدم ونحننا هوة زاد عمقها بارتفاعنا حتى صار الوقوف من الاقدام ومع ذلك

لم نبال بالخطر ولم ننفك عن التصعيد الى ان بلغنا القنة العليا . فاسترحنا هنيئة ثم عدنا
أدراجنا وكنا نجلس على فتات الصخور فتنبهار بنائمة قدم او أكثر الى ان يتجمع كثير منها
تحت أقدامنا ويقف عن الانهيار ثم نكرر ذلك فبلغنا سفح الجبل في دقائق ولا يفعل هذا من
بقدر العواقب

ويظهر هذا الميل على أشده في الذين يصعدون في جبال الالب وهي مغطاة بالثلج والجليد .
والثلج اذا تراكم بعضه فوق بعض وضغط اعلاه على اسفله وكان ذلك على سفح جبل زحل
على ذلك السفح زحلاً كأنه نهر بطي الجريان فينحدر جوانب الجبل بسيره كما تنحدر أنهر الماء
فتتخلل الصخور منها وتندهور عليه ولذلك ترى الحجارة منتشرة على جانبيه . واذا بلغ شرقاً
او بقعة منخفضة تسحق فظهرت فيه شقوق عميقة كالأودية كما ترى في هذا الرسم وقد رسم فيه
نهر من أنهر الجليد والحجارة منهارة على جانبيه والشقوق بادية فيه . والمصعدون في الجبال
قد يمشون على هذه الأنهار فتقع الصخور عليهم وتسحق رؤوسهم او يقعون في الشقوق فيدفنون
في الثلج أحياناً ومع ذلك لا ينفك الناس عن التصعيد في جبال الالب سنة بعد أخرى



وقد وقفنا الآن على مقالتين موضوعهما التصعيد في جبال الالب للسيدة اوبري له بلند
شرحت فيهما بعض ما يلاقيه المصعدون من المشاق وهي من اخبر الناس في هذا الموضوع

ومن أكثرهم تصعيداً في الجبال فاقطفنا منهما مايلي

قالت الكاتبة ان التصعيد في الجبال احب الملاهي لانه اشدها خطراً فهو كهيد الاسود وركب السوابق لذته في مخاطره

ويظهر مما يحدث سنوياً للمصعدين في جبال الالب ان التصعيد فيها لا يخلو من الخطر ولكن الذين يؤخذون فيه اما انهم اغفلوا الحذر الواجب او لم يسترشدوا بالادلة الاكفاء ومع ذلك اذا نفذ القدر بطل الحذر

حدث منذ عهد قريب ان شاباً انكليزياً صعد في جبال الالب الى اعلى مكان امكنه الوصول اليه وعاد راجعاً وكان معه دليلان ماهران احدهما امامه والاخر وراءه فوقع صخر كبير على رأس الدليل المتقدم فقتله حالاً ودفعه الى هوة عميقة وكان الثلاثة مسكينين بجبل واحد فوقع الشاب والدليل الثاني فوق الدليل الاول نحو تلك الهوة ورأى الدليل الثاني شقاً كبيراً في الجليد قبل الوصول الى حافة الهوة وعلم انه ان استطاع ان يعلق به فقد ينجو هو والشاب من الوقوع في الهوة وكانت السقطة قد رضضت مفاصله ولكنها لم تذهب برشده فتمكن من النزول في الشق هو ورفيقه المقتول والشاب الذي معهما ونهض للحال وانمض الشاب واخرج الرمل من فيه وصعد به من الشق قبل ان يقع عليهما حجر يصرعهما لان الحجارة كانت تنهال من جانب الجبل تبعاً بسبب اشتداد الحر حيثئذ وذوبان الجليد الممسك لها . وكان صعوده من الشق على تلك الصورة وليس معه شيء يتعلق به من الخوارق حتى ولو لم يكن جسمه مترصصاً . وظلاً يصعدان تسليقاً وتسبباً الى ان بلغا مكاناً أميناً . وبقيتا اسابيع كثيرة قبل ان شفيا من سقطتهما . وأخرجت جثة رفيقهما من الشق في اليوم التالي بعد عناء شديد

هذا الشق نجي اثنين من الهلاك والشقوق في الغالب مهالك يهلك فيها المصعدون في الجبال كما حدث منذ عشرين فان رجلين فرنسويين ودليليهما ضلوا الطريق في ليلة شديدة العواصف وكانوا في ابرد بقعة من جبال الالب فباتوا يمشون ذهاباً واياباً لكي لا يهرأهم البرد لكنه هراً الفرنسيين وبقي الدليلان حين الى الصباح فتزلا عن الجبل وقد مزقت العواصف ثيابهما وجهد الدم والتلج على وجهيهما ولقيا في نزولهما جماعة من المصعدين فاخبراهما عن موت رفيقهما برداً في اعلى الجبل فاضاعت الجماعة رشدها واسرعت نحو ذينك المنكودي الحظ لعلها تجد فيهما رمقاً وكان الواجب عليها ان تترك الميت وتهم بالحي فظل الدليلان نازلين على ما بهما من الضعف . وبعد ساعة من الزمان كان في الوادي رجل بيده نظارة ينظر فيها

الى الجبل فرأى رجلاً وقع في شق من شقوق الجليد وهو احد الدليلين وللحال قام جماعة من اهل الخطوة وصعدوا لتخليصه فوجدوا ان رفيقه وقع معه ايضاً واحدهما قتل والاخر لا يزال حياً فانقذوه بعد عناء شديد . والجماعة الاولى وجدت جثتي الفرنسيين على عشرين متراً فقط من الطريق المطروق ولم تجد فيهما رمقاً فاضافت جبال الالب ثلاثة في ذلك اليوم الى عدد قتلاها . والغالب ان الذين يهرأهم البرد او يقعون في المهالك توجد جثثهم حالاً ولكن قد لا توجد ابداً وقد توجد بعد زمن طويل . مثال ذلك ان رجلاً انكليزياً اسمه هنري ازكرت صعد الجبل الابيض (منت بلانك) ومعه دليل وحاملان لحمل امتهته وصعد معه صاحب الفندق ورفيق له واخاروا طريقاً مختصراً لان الوقت كان في اكتوبر والنهار قصير الا ان ذلك الطريق كان كثير المخاطر فيجب ان المصعدون غالباً . فلما وصلوا الى مكان يكثر سقوط دحاريج الثلج فيه سقط عليهم دحروج كبير جداً فجرف اركريت ورفاقه الثلاثة واما صاحب الفندق ورفيقه فتمكننا بعصويهما ولم يجر فاولكن انقطع الجبل الواصل بينهما . ولما تنقى الهواء من قطع الثلج النازلة مع الدحروج نظرا حواليهما فلم يجدا اثراً لاركرت ودليله والحاملين اللذين معه ولكنهما رآيا الدحروج الذي جرفهما قد انبسط في مكان مطمئن تحتيهما فنزلا اليه وبقيتا ساعتين يفتشان فيه فوجدا جثة احد الحاملين فقط واضطرا ان يعودا الى الفندق فوجدا اخت اركريت هناك جالسة تصوّر وقد صعدت مع اخيها في اليوم السابق ونزلا سالمين . فدخل صاحب الفندق ليخبرها بما حدث لكن ارجح عليه ولم يستطع الكلام فنظرت اليه وقالت اخي اخي ماذا جرى له فقال لها تشجعي . فجنبت على ركبتيها وطلبت المعونة من الله ثم قالت هات اخبرني بما توقع فاخبرها . واخذ المقتشون يفتشون عن جثث القتلى وظلوا عشرة ايام فلم يجدوا جثة اركريت واشتدت الانواء والعواصف فمنعتهم عن التفتيش . وبعد احدى وثلاثين سنة وجدت جثة هذا الرجل في سفح الجبل سار بها نهر الجليد رويداً رويداً الى ان بلغت الى هناك وعرفت مما وجد معها من امتهته كازرار قميصه ونقود كانت في جيبه وقلم رصاص من الذهب ووجد منديله ايضاً وعليه حروف مقطعة من اسمه والفرقة التي هو منها لانه كان يوز باشيأ في الجيش الانكليزي

ويحمل الذين يصعدون في جبال الثلج معولاً يحفرون به حفراً في الثلج ثقف اقدامهم فيها لان سطح الثلج يكون في الغالب صقيلاً تزلق اقدام عليه ولا سيما اذا كان مائلاً . وقد يزلق الدليل ويقع المعول من يده فيتدهور ويدهور تابعيه معه . وكثيراً ما يقف على جرف من الثلج فينهار الجرف او ينكسر به . فان الثلج قد يتصلب في بعض الاماكن وينهار

ما تحنه رويداً رويداً فيبقى بارزاً من جانب الجبل كالافريز يقف المصعدون عليه ولا يحسبون انه بارز في الهواء لا شيء تحنه يسنده . حدث منذ بضع سنوات ان سائحاً كان يصعد في جبال الالب هو وامرأة اخيه ودليلان اسم احدهما هنسن واسم الآخر خرستيان والاربعة مرتبطون بجبل واحد . واتفق ان الرجل وامرأة اخيه والدليل خرستيان تقدموا ووقفوا على افريز من افاريز الثلج فسقط تحت اقدامهم ووقفوا على سطح صقيل من الثلج مائل جداً لا تثبت القدم عليه وكان لا بد من تدهورهم كلهم الى اسفل الوادي الذي تحتهم وعمقه لا يقل عن النفي قدم الا ان الدليل الثاني الذي كان واقفاً وراءهم وثب حالاً الى الجانب الآخر من حرف الثلج فصار قادراً على حفظهم من الوقوع في الوادي اذا كان الجبل الذي ارتبطوا به متيناً يحمل الثلاثة ولا يقطع حرف الثلج وسقط المعول من يد الدليل الاول وقتاً وقع الافريز به لكن معول السائح بقي في يده فلم يبق سبيل لنجاتهم الا ان يرمي به الى الدليل فيلتقطه ويجفر به حفراً في الثلج نقف بها اقدامهم والا فلا بد من سقوطهم في الهاوية التي تحتهم حالما ينقطع الجبل بهم . وفعل الرجل ذلك فرمى بمعوله الى الدليل الاول فلتلقاه هذا وجعل يجفر به حفراً صغيرة في الثلج تثبت فيها اقدام فصعد الثلاثة عليها ونجوا

وكثيراً ما يصاب المصعدون بدوار مثل دوار البحر فيسقطون عن الشواحق . حدث سنة ١٨٩٨ ان رجلاً اسمه نارودا مشهوراً بتصعيد الجبال صعد مع زوجته وصديق له في قنة صعبة جداً وكان قد بلغها ست نوبات قبل ذلك اما في هذه النوبة فكان منحرف الصحة فلم يكذ يبلغ اعلاها حتى صرخ اني وقعت . ووقع على ظهره وتدهور مئة قدم وكان رفيقه واقفاً تحنه فامسك بالجلجل جيداً فشد الجبل على ذراعه وقطع اصابعه واطل الرجل وزوجة نارودا عليه فوجداه معلقاً بالجلجل بيد واحدة وتحنه هوة عميقة جداً . وبعد عناء شديد وصلا اليه ووضعه على سطح مستو من الجليد وكان لا يزال في دواره ولم يكن معهم طعام ولا شراب . وكانت الساعة الثانية بعد الظهر فجعل رفيقه وزوجته يصرخان ويناديان وظلاً ثلاث ساعات الى ان سمع البعض صوتهما واقبلوا لمساعدتهما ولم يتمكنوا من انزاله عن الجبل الا في الصباح التالي وبات الليل كله يهذي ولما بلغوا به سفح الجبل اسلم الروح

وفي الصيف الماضي صعد ثلاثة الى هذه القنة ولم يشأ دليل من الادلة ان يصعد معهم لصعوبة البلوغ اليها لكنهم بلغوها سالمين وبينما هم آخذون في النزول فاجأتهم زوبعة من الثلج اضطرتهم ان يبيتوا هناك . وحاولوا النزول في اليوم التالي فلم يستطيعوا لكثرة الثلج فباتوا هناك ايضاً ولا غطاء معهم ولا شيء يقيمهم ذلك البرد القارس ووجدهم البعض حينئذ واقذوهم سالمين

وذكرت الكاتبة نوادر أخرى من هذا القبيل وقالت في الختام ان التصعيد في جبال الثلج لا يكون محفوفاً بالمخاطر دائماً بل قد يكون كله بهجةً وجوراً ولذلك بتعسقه الناس ولا ينفكون عنه

بَابُ الْقُطْنِ

محصول القطن ومستقبله

ان غلة القطن من الولايات المتحدة والهند ومصر تبلغ نحو سبعين مليون قنطار فيكون القطن المصري اقل من عشرها ٠ والقطن الاميركاني وحده نحو ٥٥ مليون قنطار والقطن الهندي نحو عشرة ملايين قنطار والقطن المصري من ستة الى سبعة ملايين قنطار ويرد الى البلاد الانكليزية كل سنة من ١٨ الى ٢٠ مليون قنطار وقد كان الوارد في العام الماضي نحو ١٨ مليون قنطار فقط وهي ١٣ مليون ونصف من القطن الاميركاني ونحو ثلاثة ملايين من القطن المصري ونحو مليون من القطن الهندي ونصف مليون من سائر الاقطان ٠ وكان الوارد سنة ١٨٩٨ نحو ٢١ مليون قنطار ثمانية عشر منها من القطن الاميركاني ونحو مليونين وثلاثة ارباع من القطن المصري ونحو ربع مليون من القطن الهندي فاذا تمكّن الاميركيون من العمل بما ينوون العمل به وهو ان يكثرُوا معامل القطن في بلادهم حتى يغزلوا وينسجوا كل قطنهم فالقطن المصري كله وضعفاه لا تفي بحاجة المعامل الانكليزية ٠ واذا استطاعت المعامل الانكليزية ان تشتغل دواماً كما اشتغلت سنة ١٨٩٨ مثلاً وتجد اسواقاً لمنسوجاتها ومغزولاتها كلها لم تكتفِ باقل من عشرين مليون قنطار اي باكثر من ثلاثة اضعاف محصول القطن المصري

اما ازدياد معامل القطن في اميركا حتى تصير تغزل وتنسج كل القطن الاميركاني فامر قريب الوقوع لان هذه المعامل زادت ثمانية اضعاف منذ عشرين سنة الى الآن ولا يمنعها من الازدياد بسرعة ايضاً الا كون الاسواق التجارية لم تفتح كلها حتى الآن للبضائع الاميركانية كما هي مفتوحة لغيرها او كون التجار الاميركيين لم يصلوا اليها حتى الآن او لم يروّجوا بضائعهم فيها ولكنهم سيفعلون ذلك بعد زمن غير طويل ٠ ولذلك يهتم الانكليز الآن اشد الاهتمام

باكتشاف الاماكن التي يسهل زرع القطن فيها لكي يستغنوا بها عن القطن الاميركاني. وقد قال الاستاذ وندهام بنستن في تقرير رفعه حديثاً الى مجلس التجارة في البلاد الانكليزية ونشر في الكتاب الازرق انه يرجح ان تزيد زراعة القطن في الهند ولا سيما في برما اذا بقي سعره مرتفعاً كما هو الان ولكن اكثر القطن الذي يثبت في الهند الآن قصير الشعر لا يصلح للمعامل الانكليزية وانه لا يُحتمل ان تنسج زراعة القطن كثيراً في القطر المصري لان الاراضي الصالحة له قد زرعت كلها تقريباً. وفي هذا القول الاخير نظر لانه لا يزال في الوجه البحري نحو نصف مليون فدان من الاراضي التي تصلح لزرع القطن. والاراضي التي يزرع القطن في ثلثها فقط الآن يمكن ان يزرع في نصفها اذا توفرت المياه واعتمد الزراعون على السماد الكيماوي حيث لا يوجد السباخ البلدي فيصير محصول القطن في الوجه البحري فقط سبعة ملايين او ثمانية ملايين قنطار. ومضى تمت الاعمال اللازمة للري الصيفي في الوجه القبلي ايضاً فلا يبعد ان يصير محصول القطن المصري عشرة ملايين قنطار او نحو نصف ما يلزم للمعامل الانكليزية هذا اذا لم يرسل القطن المصري الى سائر معامل اوربا. لكن لا شبهة في ان معامل اوربا واميركا تأخذ نصفه على الاقل كل سنة فلا يبقى للمعامل الانكليزية غير خمسة ملايين قنطار او نحو ربع ما يلزم لها. وعليه فيسبق القطن المصري رائجاً جداً ولوزاد محصوله على عشرة ملايين قنطار

وقد عدد الاستاذ بنستن الاماكن التي جُرب فيها زرع القطن المصري والقطن الاميركاني في افريقية وجزائر الهند الغربية وجزائر بحر الروم وبلاد الهند ويظهر لنا مما ذكره عنها كلها انه مأهول من العناية لزرع القطن فيها لا ينتظر ان يبلغ محصوله نصف محصول القطن المصري فجزيرة قبرص مثلاً كان يصدر منها ١٨ الف قنطار في السنة وقت حرب اميركا ولا يصدر منها الآن سوى ثلاثة الاف قنطار فان كانت حرب اميركا لم تزد المحصول الا الى ١٨ الف قنطار فلا ينتظر ان يبلغ عشرة الآف قنطار الآن مهما كانت الوسائل وهو محصول ابدية واحدة في القطر المصري

وجزيرة مالطة زرع فيها ٦٩٩ فداناً سنة ١٩٠٢ بلغ محصولها ٣٣٤٢ قنطاراً ولكن لا يعلم ما هو نوعه ولا ماهي مساحة الاراضي التي يمكن زرع القطن فيها. ثم ان الاراضي التي تصلح لزرع القطن في جزائر بحر الروم وفيها ماء كافٍ لريه وقت الخباثات المطر تصلح ايضاً لزرع التبغ مثلاً وغلة فدان التبغ تساوي عشرة اضعاف غلة فدان القطن

السودان — يقال ان الاراضي الصالحة لزرع القطن في السودان واسعة جداً ولكن

ما الفائدة من اتساع الاراضي وفدان القطن يحتاج الى رجل واحد على الاقل للقيام بخدمته من حرث وزرع وخفّ وعزق وري وجمع او الى خمسة انفس من السكان . في القطر المصري يزرع القطن في نحو مليون وثلاثمائة الف فدان وعدد السكان الذين يقومون بزراعتها كباراً وصغاراً لا يقل عن ستة ملايين نفس . وعدد السكان في بلاد السودان حيث توجد الاراضي الصالحة لزراعة القطن لا يزيد على مليون نفس فاذا عملوا كلهم في زرع القطن على نسبة ما يعمل السكان في الوجه البحري من القطر المصري لم يستطيعوا ان يزرعوا اكثر من مئتي الف فدان . وفي مديرية البحيرة وحدها من القطر المصري اكثر من مئتي الف فدان تصلح لزراعة القطن اذا باعته الحكومة للاهالي وانتهى بالماء الكافي . ولا ندري كيف يهتم ولاية الامور بزرع القطن في السودان وعندهم مئات الالوف من الافدنة في القطر المصري وعلى ساعات قليلة من الاسكندرية الى حيث ينقل القطن ولا يكلف نقله ربع ما يكلفه نقله لصادره من السودان الى البحر . نعم انه يجب ان يرغب اهالي السودان في زراعة يستفيدون منها ولكن يجب ايضاً ان لا يبالغ في فائدة شيء اذا كانت المبالغة تصرف الناس عما لهم منه نفع كبير الى ما منه نفع قليل او غير محقق

الهند — بلغت مساحة الارض التي زرعت قطناً في العام الماضي في بلاد الهند نحو ١٧ مليون ونصف مليون وبلغ حاصل القطن منها نحو احد عشر مليون قنطار اي ان متوسط حاصل الفدان نحو ستين رطلاً من القطن الهندي الرخيص الثمن ولا ندري كيف يعيش الهنود الذين يزرعون هذا القطن او كيف يمكن ان تزداد زراعته حيث لا تزيد غلة الفدان على ستين رطلاً . وما قيل عن الهند يقال عن اكثر البلدان التي يزرع فيها القطن الآن على قلة فان اتساع زراعته فيها امر بعيد لقلة حاصله وكثرة النفقات اللازمة لزراعته وعزقه وجمعه

قطن السودان

نرى الحكومة السودان اهتماماً شديداً بزرع القطن وهي تحسن صنفاً لان البلاد لا تعمر ولا تغلح ما لم يحصل منها شيء يمكنها اصداره واخذ ثمنه نقوداً والقطن من اسهل الحاصلات الزراعية اصداراً وهو من اغلاها ثمناً فلا يذهب اكثر ثمنه اجرة لشجته كما لو كان رخيصاً كالقمح والذرة . واذا استطاع مليون نفس من اهالي السودان ان يشتغلوا بزراعة القطن ويزرعوا مئتي الف فدان قطناً وبلغ محصولها مليون قنطار وبيع القنطار في ارضه بمئة وخمسين غرشاً بلغ دخل السودان من هذا الصنف مليوناً ونصفاً من الجنيهاً وقد وقفنا الآن على ما كتبه مدير التجارب الزراعية في شندي عن زراعة القطن هناك

ومفاده أنه زرع القطن المصري هناك ورواه اخرية في شهر فبراير الماضي فبلغ محصول الفدان المزروع من القطن العباسي ١٢٠٠ رطل والمزروع من القطن العفيفي نحو ٨٠٠ رطل والمزروع من النيوفتش ٧٠٠ رطل اي نحو ثلاثة قناطير وثلاثة ارباع القنطار من الاول وقنطارين ونصف من الثاني ونحو قنطارين وربع من الثالث (القنطار ٣١٥ رطلاً)

ولم تنتج نتائج حسنة من زرع القطن في الشتاء لان نموه توقف تماماً في شهري ديسمبر ويناير . والقطن الذي زرع في اكتوبر لم يظهر الطرح فيه حتى شهر ابريل ولكن نموه جيد وينتظر ان يبلغ محصول الفدان منه اربعة قناطير اذا امكن ريه مدة شهرين آخرين او ثلاثة . واذا قابلنا ما يزرع في الصيف بما يزرع في الشتاء وجدنا المزية لما يزرع في الصيف في شهر يوليو ويزرع القطن في ابي حراز في الطمي المتخلف من فيضان البحر الابيض ولا يروى بعد ذلك ومحصوله قليل جداً ولكن نوعه ليس ادنى من انواع القطن السوداني

ويزرع القطن في طوكري في الارض التي يروى بها خور بركة و يبلغ حاصل الفدان نحو ٦٠٠ رطل من القطن غير المحلوج تباع بنحو ٣٤٠ غرشاً

ويزرع القطن في مديرية بربر في السنين التي يكون فيها الفيضان عالياً . وقطن السودان يحمل القيط الشديد ولا يعلم هل يحمل القطن المصري القيط مثله لوزرع هناك . والعادة ان يزرع القطن مع الذرة السامية والذرة تظل نبات القطن ونقيه ومتى بلغت ونزعت يروى القطن ويترك فلا يمتعه القيط والمظنون انه يمكن ايجاد نوع متوسط بين القطن المصري والقطن السوداني بالتلقيح فتجود شعرته ويبقى يحمل القيط كالقطن السوداني والطريقة الفضلى لزرع القطن في السودان ان يزرع في شهر يونيو او يوليو في حوش تصل اليها المياه من الترعة فيروى من الترعة الى شهر اكتوبر . ثم يروى قليلاً في فصل الشتاء . وينتظر ان يبلغ محصول الفدان حينئذ اربعة قناطير الى خمسة . والارض التي تزرع قطناً هذه السنة تترك سنتين تروى فيها ري الحياض فقط وتزرع قمحاً وقطاني

وكتب بعضهم عن زرع القطن على نهر رهد بين القصارف والقلا بات فقال انه رأى القطن مزروعاً في ٧٦٢ فداناً في القلا بات وان ثمن قنطار القطن غير المحلوج هناك ٣٤ غرشاً ويشتره الاحباش ولكنهم لا يشترون ما فيه اقل صفرة فيكون ثمن القنطار المصري (٣١٥ رطلاً) نحو مئة غرش

وكيف التفتنا الى تقارير الذين جالوا في بلاد السودان نجد انهم متفقون على ان الارض تصلح لزرع القطن ولكن قلة الناس مانعة من ذلك . اما السكان فسيزيد عددهم مع الزمان

وأما الأرض فكونها صالحة للزراعة لا يفيد أن القطن يوجد فيها ويكون نوعه جيداً لأن جودة القطن نتوقف على أمور كثيرة غير جودة الأرض . ثم إن غلاء اجرة النقل سيبقى مانعاً كبيراً في سبيل زرع القطن في تلك الانحاء

موسم اميركا

بلغ موسم القطن الاميركي الذي انتهى في الشهر الماضي عشرة ملايين ونحو ١١ الف بالة فهو اصغر موسم منذ سنة ١٩٠٠ . وقد اخذت معامل اميركا ٤٠ في المئة منه ومعامل انكلترا ٢٦ في المئة ومعامل فرنسا ٧ في المئة وسائر اوربا ٢٧ في المئة . وقد كانت معامل اميركا تستعمل مليونين و ٥٠٠ الف بالة فقط منذ عشر سنوات فصارت تستعمل الآن اربعة ملايين بالة او اكثر . ويقال ان المقطوعية من القطن تزيد زيادة طبيعية بزيادة السكان تبلغ نحو مليوني قنطار كل سنة فاذا استمرت الحال على هذا المنوال عشر سنوات أخرى احتاج الناس الى عشرين مليون قنطار فوق ما يستعملونه الآن فتصير المقطوعية كلها ونحو ٩٠ مليون قنطار وهي الآن نحو ٧٠ مليون قنطار

قطن فلسطين

كتب قنصل الانكليز في القدس ان الناس ابطالوا زراعة القطن بعد انتهاء الحرب الاميركية مع انه كان يزرع قبل ذلك في كل بلاد الساحل من غزة الى صور في ارض طولها مئة ميل وعرضها من خمسة اميال الى عشرين ميلاً وعنده انه يمكن اقناع الاهالي بالعود الى زرعهِ وقد بلغ الصادر من فلسطين قبل الحرب الاميركية عشرين الف بالة في السنة وهو ابيض قصير الشعر ادنى من القطن المصري . انتهى

وقد رأينا القطن المزروع في أكثر بلاد الساحل حتي بلاد صافيتا وهو صغير اللوز قليل الحمل يعيش بعلاً ويبعد عن الظن ان يكثر الناس من زرعهِ الا اذا ارتفع سعر القطن كثيراً كما ارتفع وقت الحرب الاميركية

فائدة في زراعة القصب

ثبت للدكتور كوبوس بعد التجارب في زراعة القصب ما يأتي
اولاً ان مقدار السكر في قصب السكر يختلف كثيراً وهو على اكثره في العيدان الغليظة التي مر عليها سنون كثيرة وهي تغرس غرساً
ثانياً ان مقدار السكر يزيد ايضاً بازدياد وزن القصب

ثالثاً اذا اخبرت العقل من القصب الثقيل الكثير السكر كانت العيدان النابتة منها كثيرة السكر ايضاً
 رابعاً ان القصب المنتقى كذلك يسلم اكثر من غيره من المرض المعروف بمرض السره

التوت ودود الحرير

رفع حضرة الوجيه الخواجه خطار ثابت الى جناب المستر متشل انس وكيل المالية التقرير التالي عن زراعة التوت وتربية دود الحرير في ارض بسنديله بعد ما جرب ذلك نحو ثمانى سنوات
 ” استلمت الارض في بدء سنة ١٨٩٧ وكان منها قسم كبير مستلحاً ولما كان شجر التوت لا يعيش في الارض السيخة رأيت من الواجب قبل كل شيء ان اهتم بتخليتها فاعدتها لزراعة الارز ولكن المزارعين الذين اتخذتهم لهذه الغاية لم يتمكنوا من القيام بخدمتها اذ ليس للارض الا ساقيتان لا يمكن ان تقوموا برميها كلها فافتصروا على زراعة الارز في قسم منها وهو القسم الذي غرس شجراً في السنة التالية سنة ٩٨ وكان هذا القسم جيد التربة من الاصل واما الارض السيخة فلم ينلها نصيب من زراعة الارز في تلك السنة وقد صادفت في مزاولة تخليتها صعوبات شديدة في السنين التالية لان المياه الصيفية التي لا تحلو التربة الا بها كانت قليلة جداً في تلك السنوات فكان من ذلك اننا لم نتمكن من زراعة الارز في الارض السيخة ولا من ري الارض المغروسة رياً منتظماً فنشأ عن هذه الحالة القاهرة ان الوفاء من الشجر المغروس حديثاً مات عطشاً وقد تحققت الحكومة من ذلك فاضافت سنتين على ميعاد التجربة المقرر في العقد الاصلى حتى اصيحت سنوه اثنتي عشرة بدلاً من عشر واخيراً تم الغرس في الميعاد المتفق عليه
 اما نمو الشجر فهو جيد جداً في الارض التي كانت تربتها حلوة من الاصل وهو كذلك جيد في الارض التي توقفنا الى تخليتها تماماً ولكنه لا يزال في الارض قسم نخلة عروق سيخة مما يجعل شجرة بطي النمو ونحن بادلون كل الاهتمام في سبيل تخليته حتى يساوي باقي الارض ولما مول ان نصل الى هذه الغاية في وقت قريب بما نبذله من الجهد والعناية . على ان نجاح شجر التوت في القطر المصري امر ثابت بالعيان لا يحتاج الى برهان لان التوت موجود في كل الجهات وهو بالغ فيها من النمو مبلغاً يقصر عنه كل التوت في كل جهات اوربا وسوريا . فالامر الذي بهم الكلام فيه بالنظر الى مسألة نجاح المشروع هو امر تربية الحرير وهانحن اتون على بيان نتيجة عملنا فيه

في ربيع سنة ١٩٠١ ربينا ثلاثين جراماً من بزر دود الحرير تجربة جديدة بعد التجارب المكررة التي كنا اجريناها في سنوات مختلفة قبل الاتفاق الذي عقدته معنا الحكومة فكانت التربة داخل قاعة من قاعات السكن لا في خصّ (الخص عشة من بوص وحصير) فكان محصولها خمساً وثلاثين اقة من شرائق الحرير وهو محصول متوسط بالنسبة الى محصول اوربا وسوريا وبوجهه يكون محصول الفدان الذي استوفى شجره حقه من النمو ٢٣٣ اقة (على اعتبار ان وزن ورقه ٦١٦٠ كيلو كناية عن ٨٠ حملاً) ومتوسط ثمن الاقة ١٧ غرشاً فتكون قيمة محصول الفدان ٣٩٦١ غرشاً يستنزل ربعة في المصاريف فيكون الصافي ٢٩٧٠ غرشاً

وفي سنة ١٩٠٢ كان التوت المغروس في سنة ٩٨ وسنة ٩٩ قد نما نمواً يأذن بتربية الدود للاستغلال لا للتجربة فقط فربينا خمساً واربعين علبة بزر تجوي العلبة منها خمسة وعشرين جراماً فكان محصولها ١٨٧٤ اقة من الشرائق بيع قسم منها في مصر وقسم آخر في الزقازيق والباقي لسيماه اقمشة لحسابنا الخاص. ثم في سنة ١٩٠٣ ربينا ٦٠ علبة فكان محصولها ١٢٥٦ اقة ومحصول هاتين السنتين كان اقل من محصول سنة التجربة باعتبار نسبته الى كمية البزر واهم سبب في ذلك النقص هو ان الانقار الذين استحضرناهم من بر الشام لتربية الدود لم يكن عددهم كافياً لتربية تلك الكمية الكبيرة والمصريون الذين يعملون تحت مناظرتهم ومناظرتنا كانوا على جهل تام بامر دود الحرير وتربيته فكان سوء الخدمة مؤثراً على نتيجة المحصول ومع ذلك فتلك النتيجة تجعل محصول الفدان البالغ توتة النمو الكامل على متوسط محصول السنتين ٣٤٥١ غرشاً صاعاً يستنزل ربعها في مقابل المصاريف فيكون صافي ربيع ٢٣٨٩ غرشاً صاعاً

واما في السنة الحالية فاننا قد ربينا خمسة وسبعين علبة اي ألفاً وثمانمائة وخمسة وسبعين جراماً من البذر فكان محصولها ٢٠٦٤ اقة وهو محصول جيد جداً والسبب في زيادة نجاحه عن السنتين السابقتين هو ان الانقار المصريين الذين كانوا يخدمون الدود كانوا قد اكتسبوا شيئاً من الخبرة في خدمتهم للدود في الموسمين السابقين فجاء عملهم في هذه السنة اوفى واقرب الى المرغوب. وقد بعنا محصول هذا الموسم بسعر ١٧ غرشاً الاقة فكان مجموع ثمنه ٣٥٠٨٨ غرشاً وثمناً للفائدة يجب عليّ ان اضيف الى هذه الينبات ان ورق التوت الذي استخدم في تربية هذا الموسم الاخير انما هو الناتج من محصول اربعين فداناً فقط وهي التي مرّ على غرس شجرها اربع سنوات فاكثر واما باقي الشجر فانه بالنظر الى حداثة عهده ينتج حتى الان كمية قليلة من الورق ليس لها شأن يذكر والاربعون فداناً المشار اليها لا تزال الآن في مقتبل صباها وسيزيد محصولها من الورق مع زيادة نموها سنة فسنة الى ان يبلغ اربعة اضعاف ما هو

عليه الآن او اكثر

هذا ويسرني ان اخبر سعادتك بان كثيرين من الاهالي قد رغبوا في زرع شجر التوت في اراضيهم بعد ان رأوا باعينهم سير المشروع فكان مجموع ما بعتة من الاشجار حتى الآن ٣١٣٦٤ ولو امكنني تلبية كل الطلبات ل زاد عدد المبيع عن ذلك كثيراً ولكن الفسائل التي كنت احضرها في كل سنة كان يموت قسم كبير من شجرها عطشاً في زمن المناوبات وكنت احتاج سنوياً الى بضعة آلاف من الاشجار فالباقى لم يكن يكفي لاجابة كل الطلبات وعندى من الآن طلبات للسنة القادمة ما يزيد على عشرة الاف شجرة . نعم ان معظم التوت الذي بعتة انما اشتراه الاهالي لاجل غرسه على اطراف اراضيهم وبجاري المياه والطرق وجوانب المساكن والمساقى الا انه في الحقيقة لا يرجى منهم الآن اكثر من ذلك لانهم لا يزالون جاهلين كيفية تربية الدود ونتائج الحقيقة فلا يطلب منهم التوسع في زراعته الى حد ان يشغلوا به اراضيهم التي يستغلون منها القطن ولكن اذا كبر الشجر الذي غرسوه في حواشي تلك الاراضي وجربوا تربية الدود عليه اما بواسطة عملة من السوريين المقيمين بين ظهرانيهم او بواسطة بعض الفلاحين المصريين الذين يكونون قد تعلموا هذه التربية فانهم عند ما يرون ارباحه يتدرجون شيئاً فشيئاً الى غرسه في ارض يخصصونها له على النمط الذي يشاهدونه عندنا في الاراضي المخصصة للمشروع . واني اعتقد ان ارتفاع اسعار القطن في هذه السنوات الاخيرة كان سبباً لحصر كل اهتمام ارباب الزراعة في زراعة القطن نفسه . وهم الآن معذورون في ذلك اذ ليس من الحكمة وحسن التدبير ان يعدل المصري اليوم عن زراعة القطن التي تضاعفت ارباحها الى زراعة لم يجنبرها ويعطل ريع ارضه ثلاث سنوات قبل ان ينال من محصول الزراعة الجديدة شيئاً يستحق الذكر ولكن اذا رجعت اسعار القطن يوماً الى حالتها القديمة (ونسأل الله ان لا ترجع) فحينئذ ينتظر انتشار زراعة التوت في القطر المصري الانتشار الذي يجعل وادي النيل مصدراً من مصادر الحرير المهمة في العالم

على انه بالرغم عن ارتفاع اسعار المحصولات المصرية في الاوقات الحاضرة فانه لا يزال في ارض مصر متسع لزراعة شجر التوت وتربية دود الحرير وذلك في الاراضي الرملية التي لا تصلح للقطن ولا تنجح فيها الحبوب لان شجر التوت يعيش فيها وينمو كما يكفل الحصول على ايراد يعادل في كل سنة قيمة ثمن الارض نفسها ولذلك اقول انه وان دامت الاسعار الحالية على ما هي عليه بل لو زادت ارتفاعاً فان زراعة التوت لاجل تربية دود الحرير ستنتشر متى تحقق الاهلون فوائدها وعلموا بحقيقة ارباحها وهذا لا يتأتى الا متى كثر عدد الفلاحين الذين

براولون تربية الدود لان استغلال الحرير من شجر التوت اقرب في الحقيقة الى الصناعة منه الى الزراعة والفلاح في الوقت الحاضر لا يشتغل بالطبع في تربية الدود الا لحساب غيره كما هي الحالة عندنا في بسنديلة فاذا تعلم امكن ان ينقل هذه الصناعة الى حيث ينتقل . وقد اتفق لنا اننا في سنة ١٩٠٢ استغنيانا عن جانب من الدود الذي كنا نربيه بسبب قلة الورق فطرحناه في جهة من الغيط فالتقطته امرأة كانت اشتغلت عندنا في خدمة الدود في السنة السابقة وربته على توت موجود في بلدتها المجاورة لعزبتنا فنجح واشترينا ما نتج عندها من الشرائق وبالاخصار اقول في ختام هذا التقرير ان نجاح المشروع اصبح امراً محققاً لا ريب فيه وان اقبال الاهالي على شراء شجر التوت لغرسه في اراضيهم هو اول خطوة في سبيل انتشار هذه الزراعة المفيدة

خطار ثابت

بسنديله في ٢٧ اغسطس سنة ١٩٠٤

بَابُ الْمَرْئِيَّةِ الْمُنْظَرَةِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهيم ونشجداً للادمان . ولكن الهمة في ما يدرج فيه على اصحابه فحن برأى منه كلاً . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المتعطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فهناظره نظيره (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خور الكلام ما قل ودل . فالقالات الوافية مع الامجاز تسفخر على المطولة

ماهية الروح

جناب منشئي المقتطف الاغر

رأيت في الجزء التاسع من مجلتيكم القراء (شهر سبتمبر سنة ١٩٠٤) على الصحيفة ٨٢٥ سؤالاً من حضرة الفاضل الاديب بدران افندي احمد بالنيا « عن ماهية الروح وما الذي يشابهه » فالذي عن لي

ان الروح ليس شيئاً يقوم بذاته وانما هو نتيجة تركيب الجسم الحيواني الذي يتألف من مواد واخلاط على نسب مقدورة وواعية واجهزة مخصوصة فتقتم التركيب هذا على الصورة التي احكم الله صنعها نتج الروح عنه فاذا عرض لهذا التركيب فساد فانه يعدم الروح

فمثل الروح كمثل الكهرباء التي تنتج من تركيب البطارية (الجهاز) ومعلوم ان الجهاز كثير التنوع فنه ما يتألف من احماض ومنه ما هو من معادن الى غير ذلك مما ليس يخاف ولكن اراني في حاجة الى ايراد نوع منها — كنت عرفت — استيفاء للعبارة فاقول لكي نفصل على كهربائية تركيب جهازاً على الوجه الآتي

نأخذ كاساً او وعاءً من الزجاج او الخزف نضع في اسفله قرصاً من النحاس مربوطاً من جانبه بشريط نحاسي ليكون طرفاً في نهاية الوعاء ثم نضع في هذا الوعاء على قرص النحاس جانباً من سولات النحاس (التوتية الزرقاء) حتى نصف الوعاء ثم نضع فوقه جانباً من نشارة الخشب حتى يتم امتلاء الوعاء الا قليلاً ثم نأتي بقرص من الزنك (المعدن المعلوم) يكون ثقيلًا ونضعه على النشارة مربوطاً من طرفه بشريط من المعدن نفسه ثم يتعهد هذا الوعاء بقليل من الماء كي يصل هذا الماء الى آخر الوعاء فيملل النشارة والتوتية فتتخمر هذا التركيب اقراصاً باحدى يديك على طرف الشريط النحاسي وبالاخرى على الشريط الزنكي فتقبضت على هذا النحو شعرت بشيء هو الكهرباء

الفساد فقدان الكهرباء . اذا انقطع اي شريط من الشريطين او جف الماء في الوعاء او نفذت فاعلية التوتية بمضي الزمن او حال حائل بين اتصال اي شيء من هذه المركبات الى غير ذلك فسدت الكهرباء فلا تعود تشعر بشيء اذا لمست الشريطين

ومعلوم انه اذا لم يحصل هذا التأليف المشتمل عليه التركيب لم تنتج الكهرباء اصلاً فاذا لمست النحاس بذاته او التوتية بذاتها او الزنك او النشارة فلست بشاعر شيئاً

فالخلاصة ان الكهرباء نتيجة التركيب وانه اذا عرض فساد له لا تنتج معه الكهرباء هكذا الروح نتيجة من تألف التركيب الجسماني فاذا فسد شيء من مركباته فقدت الروح لانه نتيجة ذلك التركيب فقد يكون الجسم الحيواني ملقى امامك دون ان يفقد شيئاً من صورته لانه فاقد الروح بفساد شيء مما اشتمل عليه من التركيب كما قد يكون الوعاء امامك على صورة مركبة ولكن لا كهرباء فيه عند ما فسد شيء من مركباته ومن ثم قلت في ماهية الروح

وما الروح في الاجسام شيء بذاته يكون له بعد الجسم بقاء ولكن من التركيب كان نتيجة تمثلها في وصفها الكهربائي
” فسيحان الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير “

والسؤال حيث ان الامر ما تقدم فهل لعلماء اوربا ان يبحثوا في طريقة خلط هذا الروح اللطيف في جسمه بايجادهم اسباباً لا يعرض معها فساد لذلك التركيب او على الاقل

بقى الروح وقتاً أطول مما هو فان الامر كما قلتُ وافول فيه

لعمرك ما تلك الحياة رخيصةٌ فصنها فما بعد الحياة حياةٌ

محمد نور

المحامي

[المقتطف] ان الرأي الذي ابداهُ حضرة الكاتب الفاضل هو رأي الماديين . والعلم الطبيعي يميل اليه لا سيما بعد ان ظهر لهُ الآن ما يدلُّ على ان المواد كلها ظواهر من ظواهر الكهربائية اي ان الموجود حقيقة هو الكهرباء لا غير ومنها نتألف صور المواد على اختلافها فالرجل دقائق كهربائية مجموعة على صورة مخصوصة . والكتاب دقائق كهربائية اخرى مجموعة على صورة اخرى وهلمَّ جرَّاء . وقد كانت خطبة الوزير بلفور رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني هذا العام في هذا الموضوع وربما عرَّبناها في الجزء التالي

فسخ الخطبة

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

كثير لفظ الجرائد الانكليزية في امر الخطبة والزواج وواجبات الخطيبين الواحد نحو الآخر على اثر فسخ الخطبة بين احد الموظفين الانكليز في الحكومة المصرية وابنة محافظ لندن وقد عثرت في احدى الجرائد الانكليزية على مقالة عنوانها ” الزواج او عدمه ” فرأيت ان اعزتها لما حوته من الفوائد الجمَّة . قالت الجريدة

” لو فرضنا ان رجلاً تحقق قبل زواجهُ بيومين ان خطيبتهُ لا تحبُّه او شعر من نفسه انه لا يحبها او رأى ان مهرها اقلُّ مما كان يؤمل . فماذا يفعل حينئذٍ

ولو فرضنا انه قرَّر فسخ الخطبةُ أبلغ الجرائد قراره او يترك الامر لخطيبته لتعلن هي فسخ الخطبة صوتاً لاسمها وشرفها . فقد جاءتنا رسائل تترى في هذا الموضوع ذهب الكتاب في بعضها انه يجب فسخ الخطبة والغاء الزواج حتى الساعة الاخيرة اذا ظهر ان الخطيبين ليسا متلائمين وانه يجب ان يترك فسخ الخطبة للخطيبة لتكون البادئة به حفظاً لكرامتها . فان ذلك خير للخطيبين وأبقى . فكم من فتاة تُحقق قبيل الزواج انها قبلت من لا يصلح لها ولا تصلح له

فتساق الى حفلة الاكليل شهيدة الاعتقاد انه ليس من الشرف ان تنقض الخطبة بعد ابرامها .
ولكن أليس كسر عرى الخطبة اشرف من كسر القلوب ؟

هذا ما قالته الجريدة وقد ذيلت مقالها باقوال بعض مراسليها وهالك بعضها . قال مراسل
بامضاء " القانون والنظام " انه لو كان الفتيات يرافعن الشبان الذين يخطبونهم ثم يفسخون
الخطبة لقلت حوادث فسخ الخطبة قبيل الزواج

وقال آخرهما قلنا في ذم الشاب الذي يعلن فسخ خطبته على رؤوس الاشهاد قبيل
الزواج لم نكن مباغين في ذلك . فان عرى الخطبة تكاد تكون مثل عرى الزواج متانة في
بعض البلدان فخذ لو جرى مثل ذلك في انكلترا . ويجب ان تعقد الخطبة بموجب عقد
قانوني شرعي وتعامل مثل سائر العقود في نظر القانون

وكتبت امرأة بامضاء " جدّة " نقول كثيراً ما نسمع بنقض عهود الخطبة هذه الايام
ولا عجب في ذلك ولا غرابة ما دام الشبان لا يعتمدون بالخطبة ولا يكثرثون لها . وذلك لان
بنت هذا الزمان لا يهولها تبدل خمسة او ستة من الخطباء عليها قبل زواجها . فيفقد الشبان
ثقتهم بالبنات ولا يعدون نقض عهود الخطبة جرماً كبيراً ولو كان ذلك في ساعة الاكليل .
ولما كان ذلك كذلك فلا عجب اذا فقد الزواج كثيراً من رونقه وبهائه . انتهى

هذا رأي الجريدة الانكليزية وهذه آراء مكاتبيها فهلاً اتحفنا كتابنا بآرائهم في هذه
المسألة ولهم الفضل والمنة فانها من المسائل التي تشغل العقول والاذهان وتكرر من ان الى ان
فينشأ عن تكرارها ضغائن واحقاد في الصدور ويمسي الزواج بها مضغة في الافواه وفضلة
يستغنى عنها بدلاً من ان يكون ركناً من اعظم اركان العمران . ورجساً ينفّر الناس منه
بدلاً من ان يكون فرضاً مقدساً يحرصون على ادائه . ويبيت الحب الذي هو اساس الزواج
في كل ملة ونحلة ادنى الرذائل لا اسمي الفضائل كما هو في الحقيقة

(طالب)



بَابُ الْمَسَائِلِ

فلما هذا الباب منذ أول انشاء المنظف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المنظف . وبشروط على السائل (١) ان يضي مسألة باسمه والفايد ومحل اقامته امضاه واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفاً تخرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليكرره سائلاً فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب تافه

(١) الضعف والقوة والسمن والخفاة

طرابلس الشام . خليل افندي نحاس .
نرى رجلاً نحيف الجسم لكنه قوي وآخراً
سميناً لكنه ضعيف فلماذا هذا الاختلاف في
بنيتيهما وقوتيهما . وهل يمكن ان يصير
السمن نحيفاً والنحيف سميناً وما هي التدابير
اللازمة لذلك

ج ان الميل الى النخافة والسمن والقوة
والضعف وراثي واكتسابي اما الوراثي فيكون
اذا كان احد الوالدين سميناً او نحيفاً او قوياً
او ضعيفاً او كانا كلاهما كذلك . ولكن
كون الوالدين سمينين لا يقضي ان يسمن
اولادهما او ان يميلوا الى السمن لانهم قد
لا يرثون ذلك الميل منهما او قد يقاومونه في
الاستعمال . وما يقال عن الميل الوراثي الى
السمن يقال عن الميل الوراثي الى النخافة والى
القوة والضعف . والنخافة تكتسب بقلّة الاكل
وقلة النوم وكثرة الشغل العقلي وكثرة الرياضة
البدنية . وافعل هذه الاسباب كلها قلة الاكل
والسمن يكتسب بكثرة الاكل وكثرة النوم

وقلة الشغل العقلي وقلة الرياضة البدنية .
وافعل هذه الاسباب كلها كثرة الاكل .
والقوة تكتسب بكثرة الرياضة البدنية .
والضعف بقلتها . وقد يأكل الانسان كثيراً
ولا يسمن لانه لا يهضم اكله اما قلّة مضغه
او لضعف معدته او لضعف التمثيل في جسمه
هذا اذا استعمل بقية الوسائل التي تعين

على السمن

(٢) نقدم اليابانيين وتأخر الروس

ومنه . مرة الشهر السادس على الحرب في
الشرق الاقصى واليابان لا تزال تنقدّم الى
الامام وقد اوشكت ان تحل منشوريا بأسرها
وتطرد الروس منها . وكل يعلم ان الروس لم
يفوزوا بمعركة مطلقاً فما هو سبب ذلك مع ما
هو مشهور من بأسهم وشدهم . واذا قيل
ان ذلك يعزى الى قلتهم ووفرة اعدائهم افلا
يسوغ لنا ان نقول ان المدافع بقدر ان يقف
في وجه خمسة من المهاجمين

ج لا خلاف في ان السبب الاكبر
لفوز اليابانيين كثرة عددهم وعددهم فانهم

(٤) نهاية الحرب

ومنه . هل يستطيع الروس ان يجددوا
الحرب بعد ان يخالوا منشوريا
ج نعم وهذه الحرب لا تنتهي باخلاء
منشوريا بل بعجز احدى الدولتين عن مداومة
الحرب مالياً او بتوسط دول اخرى ترى ان
ما حدث للروس واليابان كافٍ لضعفهما

(٥) ثدي الرجل

بيروت . عثمان افندي سنو . ما هي
فائدة ثدي الرجل وهل لها فائدة خصوصية
او وجودها اضطراري

ج لا فائدة منهما الآن ويحتمل
انهما كانا في غابر الازمان كبيرين وكان
الرجل يرضع اولاده كما ترضع المرأة اولادها
ثم ابطل الرجل استعمالها لما تفرغ للحرب
والاعمال الشاقة فضعفاً رويداً رويداً الى
ان صارا اثرين كما يحتمل انهما نموا وكبرا
في المرأة فقط وبقي في الرجل صغيرين لانه
لم يستعملهما قط . والغالب انهما يتضخمان
قليلاً في اول سن البلوغ وقد يدرآن شيئاً
من اللبن حينئذٍ ويسهل تفسير ذلك بالوراثة
او بالعود الى الاصل

(٦) الرجل

ومنه . اصحح ما يقال من ان المرأة
تشتهي شيئاً في مدة وحامها من نوع
المأكول او المنظور فيظهر لذلك اثر في المولود

اكثر عدداً من الروس واكثر منهم مدافع
وقد كانوا كذلك في كل المواقع . ولا يصح
قولكم ان المدافع بقدر ان يقف في وجه
خمسة مهاجمين الا اذا كان المدافع داخل
ابراج وحصون كما في بورت آرثروما في المواقع
التي لا تحميها الاسوار والحصون المنيعة فحال
المهاجم اصلح من حال المدافع لان المهاجم
يستطيع ان يخنار الاوقات التي يهاجم فيها
والجهات التي يهاجم منها فيجمع قوة عظيمة على
هذا الموقع حتى يفوز به ثم ينتقل الى موقع
آخر وهم جراً ولذلك يهتم كل من المتحاربين
في عرض البلاد ان يكون مهاجماً حالما توازي
قوته قوة خصمه . ولا عبرة بما يفعله كل من
الخصمين لتحصين موقعه حينئذٍ لانه لا يكون
حصوناً منيعة بل عقبات في طريق المهاجم
تصدّه قليلاً لكنها لا تمنع قنابل مدافعه
ولا رصاص بنادقه

(٢) الاسطول الياباني والاسطول الروسي

ومنه . اتظنون ان ستقوم قائمة للروس
في البحر بعد نكبتهم الاخيرة اذا اجهز اليابانيون
على ما بقي من اسطول بورت آرثر

ج ان اسطول البلطيك مثل اسطول
اليابان قوة ان لم يكن اقوى منه فاذا
استطاعت روسيا ان توصله الى الشرق
الاقصى وتوصل معه فحماً كافياً له وحوضاً
كبيراً لاصلاحه فلا يبعد ان تقوي به على
اسطول اليابان

ج كلاً ولكننا نظن انه يحدث من وقوع نظر الزوجين على شيء ما وتكرر ذلك مراراً كثيرة ان يظهر لصورة ذلك الشيء اثر في النسل وان هذا هو سبب تشكّل بعض انواع الفراش بصورة بعض الازهار التي تعيش بينها وسبب ترقُّط ابدان الحيوانات التي تقيم في الغابات حيث تظهر الاظلال مرقطة بما يتخللها من نور الشمس وسبب تلون بعض الطيور بلون ما تعيش فيه من الارض كالجلجل الذي يشبه لونه لون الارض تماماً . فاذا صحّ هذا الظن وصدق علي الانسان ايضاً علّل به رسوخ جمال الوجه في بعض الامم وصبرونه فيها وراثياً بعد ان كان صناعياً كرجع الحواجب وكحل العينين ولى الشفتين ولم ير لاحد كلاماً في هذا الموضوع ولا مكنتنا الفرص من استقراء البحث فيه حتى الآن

(٧) قدم الانسان

ومنه . يظهر لنا مما نطالعُه في بعض المجالات العلمية ان علماء الطبيعة يقولون بوجود الانسان على هذه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين . فكيف عرفوا ذلك هل رأوه في تاريخ مكتتب او استنتجوه استنتاجاً . وما اقدم تاريخ مكتتب . او ماهي الادلة التي استدلوا منها على قدم الانسان

ج ان في علم الانسان وعلم آثاره وعلم

آثار الاحياء وعلم الفسيولوجيا الحيوانية وعلم الاجنة ادلة كثيرة على ان الانسان وجد على هذه البسيطة منذ الوف من السنين الا اذا كان الخالق قد خالف في خلقه سنة سائر المخلوقات فخلقهُ دفعةً واحدةً كما هو الآن . فالآثار القديمة تدلُّ دلالة واضحة على ان الفرق بين اصناف الانسان الابيض والاسمر والاسود كان موجوداً منذ خمسة الاف سنة كما هو موجود الآن تماماً واذا كان الناس من اب واحد وام واحدة فلا يحدث ذلك الا في الوف من السنين . والآثار تدلُّ ايضاً على ان الناس اتصلوا الى تنظيم الممالك وبناء المدن واتقان الصناعات وسن الشرائع منذ ستة الاف سنة او اكثر . وهذه كلها من الامور التي لا يتدرج اليها الناس الا في الازمنة الطويلة . وقد وجدت آثار الانسان في كهوف الارض مع عظام بعض الحيوانات المنقرضة في اماكن لا تعيش فيها تلك الحيوانات الآن وتدلُّ الدلائل على انها انقرضت منها في العصر الجليدي الذي عمّ اوربا وشمالى اسيا . ويستدل من بعض الدلائل الفلكية على ان هذا العصر كان آخر مرة منذ نحو عشرة الاف سنة فقد كان الانسان عائشاً هناك منذ اكثر من عشرة الاف سنة

ثم ان جنين الانسان بتشكّل على صور شتى فيكون مثل اجنة الاسماك والطيور

أقدم من التوراة ويمتد تاريخ بعضها الى ستة
الآف سنة قبل التاريخ المسيحي

(٨) الالهام والتعلم

دمشق . احد المشتركين . بماذا يهتدي
الانسان الى معرفة الدين الحقيقي هل من الهام
يأتيه او مما يتعلمه من والديه ومعلميه فان كان
الاول فاي لوم عليه اذا نشأ على ضلال ولم
ينعم عليه بالالهام وان كان الثاني فاي لوم
عليه وقد تعلم ما تعلمه من والديه ومن الذين
حواليه

ج قد يتعلم الانسان من والديه ومن
الذين حواليه اموراً كثيرة يضره الجري عليها
ويقتبس عادات يضره اتباعها كاهمال النظافة
واهمال التدابير الصحية واكل المأكّل
الفاسدة فيضر ولا يعذر بأنه تعلم ذلك من
والديه وجري على خطتهم فانه أعطي عقلاً
يميز به بين ما ينفعه وما يضره فيتمسك بالاول
ويتبعد عن الثاني واذا اعتمد الانسان على
عقله وعلى ارشاد العقلاء فالغالب انه يجد
في كل دين ما يأمره بالمعروف وينهاه عن
المنكر مما لو عمل به لوفى بالغرض الذي
وُجد لاجله

والوحوش ويكون جسمه مغطى بالشعر الغزير
قبلاً يولد ويولد شبيهاً بجنين القرد ولا يفسر
هذا التغير تفسيراً معقولاً الا بان الجنين
يمر في تكوينه على الاطوار التي مرت عليها
انواع الحيوان في ارتقائها . هذا عدا ما في
جسم الانسان من الاعضاء الاثرية التي
لا فائدة منها الآن ولكنها تدلّ دلالة واضحة
على انها بقايا اعضاء مفيدة ضعفت بعدم
الاستعمال مدة الوف من السنين كشدوّتي
الرجل المشار اليها في سؤال سابق فهما مثل
الزربن اللذين في السترة الافرنجية من وراء
ومثل الازرار التي على الكمين فان هذه
الازرار كلها لا فائدة منها الآن ولكن كان
لها فائدة في غابر الزمن . فالزبان اللذان الى
الوراء كان ذبلاً السترة يعلقان بهما لكي يظهر
السيف الذي كان الناس يتقلدونه حينئذ
والازرار التي على الاكمام وضعت عليها في
ثياب الجنود اولاً وذلك لمنعهم من مسيح انوفهم
باكمامهم وتوسيحها بها

ولهلّ التوراة اقدم تاريخ مكتوب كتابة .
ومن الدروج المصرية ما هو اقدم منها ولكنه
ليس تاريخياً . اما الآثار المصرية والبابلية
المنقوشة نقشاً على الصخور والاجر فكثير منها

بَابُ الْحُجُبِ الْعِلْمِيَّةِ

مقام الانسان في الخليفة

الف الدكتور وليس كتاباً موضوعه
”مكان الانسان من الكون“ ذكر فيه
القضايا الآتية وهي

(١) ان عالم الكواكب والاجرام السماوية
مجموع مرتبط الاجزاء له امتداد محدود

(٢) ان النظام الشمسي واقع في مجرى
الجزء نحو واسطها . وعليه فالارض في مركز
عالم الاجرام السماوية تقرباً

(٣) ان الكون مؤلف من نوع واحد
من المادة في جميع اجزائه وهو خاضع لنواميس
طبيعية وكياوية واحدة

هذه قضايا قال انها ثابتة لا تقبل الشك
واما القضايا التي رجحها فهي

(١) ليس بين سيارات النظام الشمسي
سيار مسكون او يصلح للسكن الا الارض

(٢) ليس في الكون شمس تتبعها سيارات
مسكونة غير شمسنا

(٣) ان موقع الشمس المركزي ثابت
لا يتغير وقد يكون لازماً لوجود الحياة على
الارض

وخلاصة ذلك كله ان الانسان رأس

المخلوقات العاقلة انما هو موجود في الارض
دون غيرها من اجزاء الكون وان نوع الانسان
غاية هذا الكون العظيم الواسع الاطراف
الممتد الاكتاف

والدكتور وليس من اشهر علماء الطبيعة
وهو قسم دارون في مذهب الشوء

تعاليم كنفوشيوس

كنفوشيوس فيلسوف الصين وحكيمها
الكبير مضى عليه اكثر من ألفي سنة ولا تزال
تعاليمه محترمة في الصين كلها يجلبها الصينيون
ويخضون لها خضوعهم لاعظم الشرائع
والقوانين وهو ما لم يسبق له مثيل في تاريخ
البشر لاسيما وان تعاليمه دينوية محضة لاعلاقة
لها بالدين . فانها تبحث في واجبات الناس
بعضهم نحو بعض في هذه الحياة ولا تذكر
شيئاً عن الله ولا عن الحياة بعد الموت . قيل
سأله وزير من وزراء الدولة ما هي الحكمة
فأجابته ” ان الحكمة ان يقف كل انسان
نفسه على اتمام واجباته نحو الناس ويحترم
الارواح ان كانت هناك ارواح ويتعد
عنها “ وسأله تلميذ من تلامذته عن عبادة
الاسلاف فأجابته ” ان كنت لاتستطيع ان

تخدم الناس فكيف تستطيع ان تخدم
الارواح " وعاد هذا التلميذ فسأله عن حالة
الانسان بعد الموت فأجابه " ان كنت
لا تعلم ماهية الحياة فكيف تعلم ماهية الموت "
وقد جمع خلاصة تعاليمه في ثلاث كلمات
وهي " لي . شو . تشنتز " ومعنى " لي "
شريعة العمل الصالح الاولى والاخيرة وهي
ان يعمل الانسان الواجب في الوقت الواجب
والطريقة الواجبة والسبب الواجب . وفسر
كنفوشيوس نفسه معنى كلمة " شو " فقال
هو " ان لا تفعل بالآخرين ما لا تريد ان
يفعلوا بك " ومعنى " تشنتز " الرجل الكامل
والرجل الكامل لا يعمل عملاً دنيئاً في
معاملته للآخرين ولا يجلس في مجلس
لا يستطيع ان يحافظ فيه على كرامته . ولا
يحقن من دونه ولا يستجلب رضى من فوقه
بوسائل دنيئة . وهو يصلح نفسه ولا يفتش
عن عيوب الغير ولا يقتاظ من احد ولا
يتذمر على الله ولا على الناس

مرض النوم

كتب الاستاذ راي لنكستر مقالة في
مجلة كورنرلي الانكليزية جمع فيها خلاصة
ما عُرِف عن مرض النوم الى الآن فقال انه
نشأ في بلاد الكونجو غربي افريقية فلم يكد
يؤثر في الاهالي فلما انتقل الى اوغندا بات
وباءً قتالاً وقد مات به اكثر من مئة الف

نفس في السنوات الاخيرة . ولم يكشف له
علاج شاف حتى الآن ولا عرف ان احداً
من الذين اصابوا به شفي منه
اما اعراضه فهي تغير السحنة تغيراً واضحاً
وتعاقب الحمى والم الرأس على المريض وقد
يدوم على هذه الحال عدة اسابيع ثم يعسر
عليه المشي والكلام ويستولي الارتعاش على
لسانه ويديه وتزيد الحمى ياخذ النوم فلا
يستيقظ الا اذا أوقظ لتناول الطعام . وبعد
ثلاثة اشهر او اربعة من ابتداء المرض يقع
في سبات عميق ويمتنع عن الاكل وهزل
جسمه وتظهر القروح عليه فيموت وهو على تلك
الحال . وقد يدوم المرض من شهرين الى
سنة

واما سببه فحلم صغيرة ينقلها من انسان
الى انسان نوع من الذباب يسمى تسنزيه
والذبابة منه اكبر من الذبابة العادية بقليل
وهي لا ضرر منها عادة الا اذا وجدت الحلم
المذكورة فتنقلها من المريض الى السليم

اغنى القبائل

في الطرف الشرقي من لنج اينلد على مئة ميل
من مدينة نيويورك بقية من هنود اميركا
من قبيلة المنتوك التي كان لها شأن كبير في
تاريخ تلك البلاد . عدد نفوس هذه البقية
ثلثمئة وقد ابقت لهم الحكومة الاميركية ستة
آلاف فدان يسكنون فيها ويعيشون منها

وتسمى رأس المنتوك الى الآن . ومنذ مدة ارادت شركة البواخر التي يرئسها المستر بيربنت مورغان ان تجعل هذا الرأس محطاً لبواخرها الآتية من لقربول الى نيويورك فتقصر المسافة بين المدينتين مئة ميل فعارضها الهندو في ذلك وقام رئيسهم واسمهُ الملك فرعون يقاضي شركة البواخر وهو شاب درس في مدرسة يابل الجامعة وتخرج فيها واعتمد في دفاعه عن قبيلته على معاهدة أبرمت بين المنتوك والبيض سنة ١٦٦٢ يقال فيها ان رأس المنتوك يبقى لقبيلة المنتوك ملكاً ابدياً . ومنذ خمسين سنة اغفل البيض هذه المعاهدة واستولوا على رأس المنتوك وداعتهم القبيلة فلم يحكم لها فرجع الملك فرعون دعواه الى المجلس الاعلى في وشنطون فحكم ان تعطى القبيلة بدلاً من تلك الارض ستمئة الف جنيه توزع على نفوسها بالسواء فيخص كل رجل وكل امرأة وكل ولد وكل طفل الف جنيه . وادع المال في خزينة الحكومة الاميركية وايح لاعضاء هذه القبيلة ان ياخذوه منها او يبقوه فيها ويكتفوا بربعه

إطالة العمر

بين اساندة مستوصف باستور في باريس استاذ اسمه متشنيكوف وقد اشتهر باكتشافه وظيفة الكريات البيضاء التي في دم الانسان فأبان انها اشبه بجيش يحول ويصل في

الجسم ويكره على الاعداء التي تحاول اغتياله والفتك به . فاذا دخل مكروب الجسم انقضت الكريات البيضاء عليه واهلكته ثم اغرقته في تيار الدم المندفِع اندفاع السيل واقتاتت به وليس لها من غاية سوى حماية الجسم من غارات اعدائه . فاذا بترت اصبع من الاصابع هبت الكريات الى مكان البتر باسرع من لمح البصر وجعلت ترأب الصدع وتلاص الجرح وتفتك بكل مادة ضارة تعلق بالاصبع فلا يبقى للمكروب مجال لدخول الجسم والنجاة منها الا بقدر ما للزاقة التي تسطو على خلية النحل من فرص النجاة من لسع حماتها

اما رأي الاستاذ متشنيكوف الذي بناه على هذا الاكتشاف فخلاصته انه لا يمكن ان يطرأ على الجسم مرض الا اذا ألم بالكريات البيضاء ضعف يمنعها من مقاومة المكروبات فتتحول الى اعضاء الجسم الحيوية وتقتات بها فتتيت عوناً للاعداء عليها لا لها . وعنده انه لا بد ان يكتشف مصل تبقى الكريات البيضاء به قوية شديدة فيسلم الجسم من شر الآفات والامراض ويطول به عمر الانسان فبدلاً من ان يموت في سن السبعين يموت في سن المئة والاربعين . ويتبدل وجه هذا الكون وتدخل الفلسفة طوراً جديداً وتغير المذاهب ويعود الانسان لا يخشى الموت بل يستقبله بشغف مفتراً ووجه بسام فيرين على الابدان كما يرين الكرى على الاجفان لانه

يشبع من الحياة ويتعب فيرى الموت في صورة
ملك هابط عليه والشفاء في جناحيه

الكسوف القادم

اشاع بعض جرائد القطر المصري خطأ
ان الشمس تكسف في شهر اغسطس الماضي
في يوم يستحيل ان تكسف فيه لانها
لا تكسف الا في الحاق في آخر الشهر القمري
او اوله . والصحيح ان الشمس كسفت في
٩ سبتمبر الماضي كسوفاً لا يعده علماء الفلك
مهما لان الظل وقع في الاوقيانوس
الباسيفيكي ولم يصب جزيرة معروفة فلم تمكن
مراقبته ثم انتهى عند ساحل شيلي . وستكسف
الشمس كسوفاً تاماً في ٣٠ اغسطس القادم
سنة ١٩٠٥ وهو الكسوف الذي ارادته
الجرائد المذكورة فقد مته سنة على اوانه الحقيقي .
وعلماء الفلك ينتظرونه بذهاب الصبر لسهولة
مراقبته ورصده فان الظل يبدأ من جنوب
خليج هدسن في اميركا الشمالية ويمتد شرقاً
فيصيب الاوقيانوس الاثنتيكي فشمالى اسبانيا
بشرق فشمالى الجزائر فشمالى تونس فاصوان
ثم ينتهي جنوبي بلاد العرب . وسيقصد اسبانيا
كثيرون من علماء الفلك في اوربا واميركا
لرصده منها

اما في اصوان فان الكسوف يبدأ الساعة
٣ والدقيقة ٢٦ والثانية ٢٨ بعد الظهر ويكون
علو الشمس ٢٩ درجة ومدة الكسوف التام
دقيقتين و ٣٣ ثانية

قال احد كبار العلماء مرة لبعضهم اني
لا ارى سبباً يجعل الموت ضربة لازمة على
الانسان . فلوان صانعاً صنع جسم الانسان
وارانيه لأبدي رأيي فيه لا أعجبت بدقة
صنعه ولا نتقدت عيباً واحداً فيه ورغبت
اليه في اصلاحه . فان الجسم يبني في احد
اطوار العمر اكثر مما يهدم ويبقى كذلك مدة
طويلة ثم تنقلب الحال ولكن لماذا تنقلب
وياخذ الجسم في الاندثار والانهلال فيعود
وهو لا يستطيع اصلاح ما فسد وترميم ما
نقوض وتجديد ما اندثر وتركيب ما انحل

وقال احد الاطباء ان من اهم الامور
لدوام الصحة الطعام الذي نأكله ونستمد الغذاء
منه . ولا نعلم حتى الآن ما اذا كان الطعام
الذي نأكله صالحاً لتغذية الجسم او غير
صالح لها . على ان من القواعد المقبولة عموماً
ان شرب الكحول مضرٌ بالجسم والاكثر من
أكل الاطعمة الحيوانية مفسد لقوامه مقوض
لاركانه هادئ لبيئانه . والخبز الابيض لا فائدة
منه البتة . ولكن هناك قوماً لا يرون هذا
الرأي بل يقولون بفائدة الكحول واللحوم والخبز
الابيض ويدافعون عنها جهد الطاقة . وهذا
كله يدل على ان العلم لا يزال بعيداً مراحل
كثيرة عن حل سر الحياة

الموسم الاميركاني

متى قيل الموسم عُرف ان المراد به القطن الذي ينتج سنوياً في الولايات المتحدة الاميركية من ١ سبتمبر الى ٣١ اغسطس في العام التالي وقد نشرنا في الجزء الماضي جدولاً ذكر فيه مقدار الموسم منذ ١٧ سنة الى الآن ومساحة الارض المزروعة ووقفنا الآن على جدول آخر يظهر انه ادق من الاول ولو كان الفرق بينهما قليلاً وقد ذكر فيه مقدار ما بلغه الموسم في ٣١ اغسطس من كل سنة ومساحة الارض التي كان مزروعاً فيها

السنة	المساحة	الموسم بالآلات
١٨٩٥	٢٠١٠٧٠٠٠	٠٩٨٩٣٠٠٠
١٨٩٦	١٩٧٠٢٠٠٠	٠٧١٦٢٠٠٠
١٨٩٧	٢٠٠٥٨٠٠٠	٠٨٧١٤٠٠٠
١٨٩٨	٢٢٠٥٧٠٠٠	١١١٨١٠٠٠
١٨٩٩	٢٣١٧٤٠٠٠	١١٢٣٥٠٠٠
١٩٠٠	٢٤١٧٥٠٠٠	٠٩٤٣٩٠٠٠
١٩٠١	٢٦٥٣٤٠٠٠	١٠٤٢٥٠٠٠
١٩٠٢	٢٧٨٧٤٠٠٠	١٠٧٠١٠٠٠
١٩٠٣	٢٧٣٠٠٠٠٠	١٠٧٥٨٠٠٠
١٩٠٤	٢٨٩٩٨٠٠٠	١٠٠١١٠٠٠
١٩٠٥	٣٢٨٠٠٠٠٠	

ويقال ان الموسم الذي ابتدأ في اول سبتمبر هذه السنة وسينتهي في ٢١ اغسطس سنة ١٩٠٥ لا يزيد على ١١٢٥٠٠٠٠ مع انه لما

صدر تقرير الحكومة عن حالة الزراعة في اغسطس كان المظنون انه يزيد على ١٢ مليون بالة او ١٢ مليون ونصف ولكن عرض له من عوارض الحر والجفاف والمطر والدود ما افسد جانباً منه حتى لا يقدر الآن باكثر من احد عشر مليوناً وربع مليون والمعامل في اوربا واميركا تحتاج الى اكثر من ذلك وقد قدر بعضهم انها تحتاج الى ١١٤٥٠٠٠٠ بالة من القطن الاميركي ولذلك اخذت الاسعار ترتفع بعد ان هبطت كثيراً فارتفع سعر القطن المصري ايضاً وبلغ سعر الكنتراتات المصرية حين كتابة هذه السطور نحو ١٥ ريالاً وبيع القنطار من القطن المصري بثلاثمائة وستين غرشاً حيث كان يباع في العام الماضي في مثل ذلك اليوم بثلاثمائة وخمسة وسبعين غرشاً ولذلك ينتظر ان لا ينقص ثمن القنطار هذا العام عن ثمنه في العام الماضي سوى ريال واحد

اطول الحيوانات عمراً

سمع احد العلماء منذ عدة سنوات ان في جزيرة سيشل قرب مدغسكير سلحفاة كبيرة ثقلها ٩٧٠ رطلاً مصرياً وان هناك ادلة تثبت انها عاشت بين الاهالي منذ ١٥٠ سنة وادلة اخرى ترجح ان عمرها ليس اقل من ٣٠٠ سنة فقطد الجزيرة المذكورة يروم استئجار السلحفاة ليعرضها في معرض سنت

من التعرف الذي بلاسلك اكتشف حديثاً .
وقد جربت امام امبراطور الالماني وحاشيته
وضباط البحرية ولم يسمح لاحد من عامة
الاهالي بمشاهدة التجربة فاطيرت سبع طيارات
باسلاك من النحاس الى علو ١٢ الف قدم
واطير بعضها من قارب البريد الخاص
بالامبراطور وكان يسير بسرعة ٣٠ ميلاً بحراً
في الساعة واستعملت عدة لغات في الاشارات

الورق الياباني

يصنع اليابانيون من لحاء الاشجار انواعاً
من الورق تفوق في جودتها ما يصنع منها في
اوربا ولما كان غالب جدران منازلهم من
الخشب فانهم يلصقون عليها نوعاً من الورق
السخيف يحجب الريح ولا يحجب النور .
والورق المزيّن رخيص عندهم جداً ومتين
وهم يستعملونه للوقاية من الامطار فيرد الماء
كما يردّه الشمع الا انه يفضل الشمع بخفته
واحمالون يلبسونه اثواباً يكلف الثوب منها
نحو فرنك ويلبسه الواحد منهم سنة او اكثر
بلا انقطاع . وتصنع ايكاس الدقيق والقمح
من نوع من الورق يعسر على الحشرات خرقه
على ان احسن انواع الورق عندهم نوع يستعملونه
مكان الجلد لوضع التبغ فيه وهو متين لين
ويكاد يكون شفافاً

ساعة جديدة

اخترع احد الاميركيين نوعاً جديداً من

لويس باميركا . فرفض الاهالي ان يجيبوه الى
طلبه لانهم يكرمونها ويحلمون قدرها . ولم
يتحولوا عن رفضهم حتى تكفل لهم بان يعيدها
اليهم سالمة . ولما وصلت الى اميركا وجدوا
نخلة صغيرة اخذت تفرخ في ظهرها . وكيفية
ذلك انها مولعة بالخوض في الوحول وكأن
بعض الوحل وفيه نواة تمرّ علق بظهرها وسقط
في شق عميق من شقوقه فأفرخت ونبئت فيه
ومما يدل على ان عمرها يبلغ ٢٥٠ سنة
او اكثر ضخامة بدنها وهيئة ترسها وحالتها وهو
يتخذ عادة دليلاً لمعرفة عمر السلاحف

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في
مدرسة كبردج في اواسط شهر اغسطس
الماضي فخطب فيه المستر بلفور رئيس وزراء
الانكليز الان خطبة الرئاسة . وجعل مدار
خطبته على المذهب الجديد في المادة وهوانها
كهربائية فبين ان معارف الناس المبنية على
شهادة الحواس غير يقينية لانها تنقض من
وقت الى آخر وانه اذا اريد البحث عن الامور
اليقينية فذلك منوط بالفلسفة لا بالعلم الطبيعي
وهو في ذلك كالاستجير من الرضاء بالنار

طيارة حربية

اخترع عالم الماني اميركي طيارة تستعمل
في الحرب وترسل الاشارات منها واليهي بنوع

جنهما ونصفاً ثمن اليرد المربع واقله ٥ جنهيات
ونصفاً

اكل الافاعي بعضها بعضاً

روت احدى الجرائد العلمية الانكليزية
ان بعضهم شاهد الافاعي تأكل بعضها بعضاً
وهذا ما لم يسمع به قبلاً بل كل ما سمع انها
تأكل حيوانات ليست من نوعها . قالت
الجريدة والمرجح انها لا تفعل ذلك وهي في
حالتها الطبيعية

سن الفيل

متوسط ما يصدر من ولاية الكنتجو
الحرّة من العاج (سن الفيل) سنوياً نحو ٦٤٧
الف كيلو منها ١٤٤ الفاً ترسل الى الهند
والصين والباقي الى الاسواق الاوربية . وثمن
الكيلو من السنّ العال ٣٠ فرنكاً ومن الوسط
٢٤ الى ٢٥ ومن الدون ١٣ الى ١٥

احصاء سكان فرنسا

يحصى سكان فرنسا مرة كل خمس
سنوات . وآخر مرة احصوا فيها كانت سنة
١٩٠١ فبلغوا حينئذ ٣٨ ٩٦١ ٩٤٥ نفساً
اي انهم زادوا ٦١٣ ٤٤٤ نفساً عما كانوا عليه
في الاحصاء الذي جرى قبل ذلك بخمس
سنوات وكانوا قد زادوا ٢٧ ١٧٥ نفساً في
الاحصاء الذي قبله . وهذا النمو بطيء جداً
بالنسبة الى نمو سائر الشعوب الاوربية

الساعات الكبيرة شاع استعماله هذه الايام
في المحلات التجارية المشهورة في نيويورك .
والفرق الجوهرى بينه وبين الساعات
الاعتيادية الكبيرة هو ان الساعة منه لا عقربين
لما يستدل بهما على الساعة والدقيقة بل ان
هناك ارقاماً تدل على الوقت فارقام الساعات
الى فوق وارقام الدقائق الى تحت . فاذا كانت
الساعة ٨ والدقيقة ٢٥ ظهر رقم ٨ فوق رقم
٢٥ هكذا $\frac{8}{25}$

فرش الشوارع بالصمغ الهندي

فرش احد شوارع لندن بالصمغ الهندي
(اللاستك) سنة ١٨٨١ فكانت نفقة اليرد
المربع نحو جنيه ونصف للاساس ونحو
٥ جنهيات ونصف للصمغ ونفقة اليرد المربع في
السنة نحو غرشين صاغ . وكان سمك الصمغ
حينئذ عقدتين . وفي سنة ١٩٠٢ اخذ
قسم من الصمغ المفروش في آخر الشارع قرب
محطة سكة الحديد وخص فوجد ان سمكه
قلّ نحو $\frac{5}{8}$ العقدة حيث يكثر وطء اقدام
الخليل . وخصت اقسام اخرى مفروشة في
وسط الشارع حيث تزدحم اقدام المارة
وبكثر دوس الخيل فوجد ان سمكها قلّ عقدة
في بعض الاماكن وعقدة وربعاً في غيرها
فاضطروا الى نزع الصمغ القديم وابدله بصمغ
جديد وطلبوا من الشركات المختلفة ان تقدم
طلبات المناقصة ففعلت فكان اكثر طلب ١٧

ومعرفة ما فيها من انواع الحيوان والنبات وما يحدث في جوها من الظواهر الجوية وقد وصفنا مالا فاه ركبها من الشدائد في تلك الاصقاع. وحالما وصلت ارسل ملك الانكليز يهنئ قبطانها برجوعه سالماً غانماً وامر ان يصنع نشان يقلده الذين يخدمون في الانحاء القبطية وسيقلد به ضباط هذه السفينة وبجارتها جزاء لهم وترغيباً لغيرهم في ما يرقى شأن بلادهم

القطن الصناعي

يصنعون في اوربا قطناً من خشب نوع من الشجر وذلك انهم ينزعون من اغصان الشجرة وجذعها ما فيها من اللحاء والعقد ثم تحمي بالخيار ويضاف اليها محلول بي كبريتات الصودا حتى تلين وتبيض ثم تضغط وتلك وتحمي ايضاً وتغمس في كلوريد الكلس وغيره من المواد وتنقلب في حالات اخرى كثيرة فتخرج اخيراً خيوطاً فتصنع وتوضع بين اسطوانتين لتجفف وتصير نسيجاً يصلح لعمل الملابس منه ولكنه لا يكون متيناً كنسيج القطن

اطول اللحي

في الولايات المتحدة الاميركية رجل اسمه فلنتين تبلي طول لحيته اكثر من احدى عشرة قدماً . اطلقها في الحرب الاهلية ولم يحلقها بعد ذلك وهو يلقيها في منديل من الحرير ويضعها في جيب قميصه

بعض المعارك الكبيرة في القرن الماضي اولها معركة ليسك سنة ١٨١٣ كانت الجنود الفرنسية فيها ١٨٠٠٠٠ وخسرت ٢٥٠٠٠ بين قتيل وجريح وجنود اعدائهم ٣١٠٠٠٠ وخسروا ٤٥٠٠٠ . ومعركة سادوى سنة ١٨٦٦ بين النموسيين والبروسيين تبحر فيها ٤٢٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٣٢٠٠٠ . ومعركة سيدان كانت عدد الالمانيين فيها ١٨٠٠٠٠ وعدد الفرنسيين ٢٧٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٢٧٠٠٠٠ . ومعركة سان بريقه تبحر فيها ٣٤٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٢٧٠٠٠٠

لحم الدجاج

يظن العامة ان لحم الدجاج يختلف كثيراً عن لحم البقر والضأن في صفته وفعله وهضمه والحقيقة انه قلما يختلف عنها من هذا القبيل اما من جهة الهضم فانه اسهل هضماً من لحم الضأن والبقر ولكن قليلاً وكلما سممت الدجاجة كان لحمها اسعر هضماً والفرخ اسهل هضماً من الدجاج الكبيرة وعضلاتها القليلة الحركة كعضلات الصدر اسهل هضماً من العضلات الكثيرة الحركة كعضلات الفخذ

سفينة الدسكفري

وصلت الدسكفري الى البلاد الانكليزية عائدة من انحاء القطب الجنوبي وهي السفينة التي ارسلت لاكتشاف مجاهل تلك الانحاء

دود لوز القطن

رأى المستر كوك العالم بالحشرات ان في غواتيمالا نوعاً من النمل يأكل الدود الذي ينخر لوز القطن فينجي القطن منه فاهتم ديوان الزراعة في وشنطون بهذا الامر وعين انساناً للبحث فيه عساهم يصلون الى طريقة لاستخدام هذا النمل في استئصال دود القطن

نيران الغابات

كثيراً ما تشب النار في الغابات الكبيرة الملتفة الاشجار في اميركا وتندلع السن اللهب من كل جهة وتمتد بسرعة حتى تنصل باطراف الغابات ويذهب ما فيها طعم النار . ومن هذا القبيل نار شبت في حرجة من حراج اميركا سنة ١٨٢٥ فاحترق ضرامها ظهر السابغ من اكتوبر ولم يمض تسع ساعات حتى التهمت بقعة طولها ٨٠ ميلاً وعرضها ٢٥ ميلاً وفيها مليونان ونصف مليون فدان فهلك كل حي فيها حتى تلك الانهار التي تتحركها واحترق عدد من المدن ولكن اهلها نجوا ما عدا ١٦٠ نفساً منهم وشبت نار اخرى في مكان آخر منها سنة ١٨٧١ فالتهمت بقعة مساحتها الفا ميل مربع واتلفت من الاملاك والاشجار ما قدره بملايين الريالات واحترق نحو ١٥٠٠ نفس . واتلفت نار غيرها من الخشب ما قيمته مليوناً جنيه . وشبت نار اخرى في غرة سبتمبر سنة ١٨٩٤ فالتفت ما قيمته ٥ ملايين جنيه

سكة حديد الرأس ومصر

ورد في الجرائد الاخيرة ان القسم الاول من سكة الحديد التي كان سسل رودس اول من قال بمدّها بين مصر والرأس تمّ او كاد فانهم مدّوها الى الآن خطوط السكة على مسافة ١٦٠٠ ميل فبلغت ضفة نهر زمبيسي الجنوبية عند شلالات فكتوريا . وقد شرعوا في بناء جسر للسكة الحديدية فوق النهر المذكور ومتى اتموا بناءه اخذوا في بناء القسم الثاني من السكة وهو يمتد من نهر زمبيسي الى جهة بحيرة تانجنيكا وطوله ٢٥٠ ميلاً . وقد قدر سسل رودس ان طول الخط بين مصر والرأس يبلغ ٧٥٠٠ ميل فاذا طرحنّا من ذلك ما مدّوه منه او شرعوا في مدّه جنوباً وما مدّه منه شمالاً بقي نحو الـ١٠٠ ميل لم تمدّ بعد الدخان والصقيع

اثبت بعض رجال الزراعة ان الدخان يمنع الصقيع وما ينتج عنه من الضرر بالمزروعات وخصوصاً الكرم . وذلك بان تشعل النار في الارض التي يراد حفظ مزروعاتها مدة ايام البرد الشديد ويفضل اشعال المواد التي لا تشتعل بسهولة بل يتصاعد دخان كثيف عند احراقها مثل العشب الاخضر او الياس الرطب . وقد ابانوا ان نفقة ذلك نقل كثيراً عن الخسارة التي تصيب المزروعات من الصقيع . وفي فرنسا يحرقون الزيوت الكثيفة التي تبقى بعد عمل الغاز في معاملها

فهرس الجزء العاشر من المجلد التاسع والعشرين

٨٣٣	كتاب روز بري عن نبوليون (مصوِّرة)
٨٤١	المهاجرة الى اميركا
٨٤٤	اكيليل الغار (ش)
٨٥١	أذن الانسان
٨٥٥	بنك رويستون
٨٦٢	سياسة المدرسة . للاستاذ جرجس افندي الخوري المقدسي
٨٦٦	المدرسة الكلية الاميركية (سائح)
٨٦٩	قوانين يوستنيانوس . للاستاذ سعيد افندي الخوري الشرتوني
٨٧٩	المغلاة بالصور
٨٨٢	العمر والتدابير الصحية
٨٨٥	حياة الجماد
٨٩١	مصطفى فهمي باشا وتجبران باشا
٨٩٨	التصعيد في الجبال (مصوِّرة)

٩٠٢	باب الزراعة * محصول القطن ومستقبله . قطن السودان . موسم اميركا . قطن فلسطين
	فائدة في زراعة القصب . الثوت ودود المحرير
٩١١	باب المراسلة والمناظرة * ماهية الروح . فتح الخطبة
٩١٥	باب المسائل * الضعف والقوة والسمن والخفاة . تقدم اليابانيين وتأخر الروس . الاسطول الياباني والاسطول الروسي . نهاية المحرب . ثديا الرجل . الوحام . قدم الانسان .
	الالهام والتعلم
٩١٩	باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٤ نبذة
	رواية البوليس السري ملحقه بالمقتطف

الفصل الرابع والعشرون

زَرْعُ الرِّيحِ

وبعد انقضاء الحرب اجتمع ممثلو هذه الرواية في لندن لعرض الفصل الاخير منها . وكان غودارد قد شفي من جرحه البالغ ورجع اللورد ارنلفورد من نيس واخذ البرنس سكولوف يهيئ الشرك الذي اعدّه للتبليت على فريسته في اقرب وقت

فنعود بروابتنا على بدء في غرفة صغيرة بمنزل املي دشتون حيث لم يكن فيها في مستهل التنبيل سوى شخصين احدهما يروح ويحيي في عرض الغرفة مضطرباً والاخر جالس على كرسيه هادئاً . وكان الاول اللورد ارنلفورد والثاني الملاجور هومر كرتز شقيق املي فوقف ارنلفورد بغتة ودنا من كرتز وقال : —

— اي شيطان بعثك على السماح لاملي بالعودة الى انكلترا في مثل هذه الاوقات الصعبة ؟

— لكنك تعلم يا صديقي العزيز انه ليس لي عليها من السلطة اكثر مما لك . ويظهر انها تهتم بتقرير الامر وفصل الخطاب . وقد املت علي في ذلك اشدّ الاحاح . ولقد طالما حذرتك منها وانذرتك بشرها حين يمسها الغيظ ويمررها الروح

— لكنني قادر منذ الان ان اوفي كل ماعلي من الديون واهاجر الى بلاد الجزائر

— هذا اذا وجدت املي سهلة القياد لانعارض في انفاذ هذا المراد

— علي تدبير الامر فلست اظنها تسبب لي تعباً . انظر يا كرتز ! اروم منك ان تذهب الى المسترريس وتخبره اني لا استطيع الذهاب اليه اليوم . وربما ذهبت غداً . على انه اذا كان جواده كما وصفه لي فاني اشتريه

— لكنك قلت لي انك ذاهب الى الجزائر

— نعم لكنني اتوقع الريح في السباق القادم

— فقام الملاجور وخرج . ولم يلبث ارنلفورد وحده طويلاً حتى دخلت املي دشتون فاقبلت عليه فاتحة ذراعها وقالت : —

— الست مسروراً بروؤيتي يا جاك ؟

— وددت لو انك لم تأت

يا لك من جاف غليظ الطبع قاسي الفؤاد ! أهكذا نقابلني بعد طول البعاد يا نافض العهد
وقليل الوداد

ثم اقتربت منه ووضعت يدها على كتفه . اما هو فتملص منها معرضاً وقال : —
— اعلمي يا عزيزتي انه كان يجب عليك ان لا تأتي الى هنا لانك بقدمك هذا
تهدمين كل ما بنيتُهُ . فلماذا لم تبقي في باريس ؟

— لان حماقتي حملتني على الالهام بك وضعفني اوهمني انك تهتم بي . فاعلم يا جاك ان
اليوم الذي اتحقق فيه انك عامل على خنلي وخداعي يكون عليك اشأم الايام . وأخشى انك
تخرجني فتخرجني الى ما لا ارجع عنه ولو تجرعت كأس الحمام . فلا تضيقن علي النطاق لاني
في ساعة غضبي اكون مرة المذاق وصعبة لا أطاق

— املي ! املي ! خلي عنك التعر فلسنا في شيء من التائق في الصوت والافتنان في
الحركات والاشارات ولا حاجة لك ان تذكريني احدى ممثلات الروايات !

— ولكنني عندما اشرح في تمثيل " دوري " اضطررت الى الانتباه ولو بالرغم والاكره .
على انه قبل حلول الوقت اروم منك ايضاح امرين . فقد جئتُك متوقعة انك تسر برويتي
لاني لم اصدق ما سمعته عن علاقتك بتلك الفتاة الاميركية . والان اطلب ان اسمع منك
ما يثبت هذه الاشاعة او ينفيها . لا ارتاب في ان دناءتك تحملك على مخادعتي وانما ارتاب
كل الارتياب في ان يبلغ منك الغرور مبلغاً يدفعك الى التعريض بنفسك لمغبة عداوتي وعاقبة
حنقي . ولكن مالي ولهذا كله . فلم اجئ الى لندن للايعاد والتهديد . فقل لي هل انت عازم على
الاقتران بتلك الفتاة ؟

— كلاً

فسري عن املي وقالت : —

— هكذا كانت ثقني بك . انت اجل من ان تفعل هذا يا جاك . انت اجل من ان
تقدم عليه . لم تذهب اتعاب سفري سدى . حقاً لقد زال قلبي وصفا جو قلبي من الكدر مع
اني من البداية لم اصدق هذا الخبر . لكنني لم استرح حتى تحققت الامر عياناً فنعماً انت رجلاً
وبورك فيك انساناً

— والان يا املي فلنضع حداً لهذه الامور . واعلمي اني راجع الى امراتي

— ماذا : أبجد تكلمي ؟

— نعم

— وانا بجد أقول لك انك لن تستطيع هذا ايضاً !

— اليك عن الطيش والرعونة واصفي الى كلامي بهدوء وسكينة فان احدى عمت زوجتي وهبتها كل ما تملكه ونصحت لها ان تصالحني . فهل أضيع هذه الفرصة السانحة ولا انهرزها واحوالي كما تعلمين رديئة جداً ووكيلي لا يستطيع ان يمدني بلملم واحد . اذاً وافقيني على هذا الامر ولك مني خير الثناء واطيب الشكر

— او تخالني رهينة امرك . او في افتقار الى خير ثنائك واطيب شكرك . أقفل — نعم أقفل عن هذا المقال ولا تعلقن نفسك بالحال وقد آت لك ان تصغي لي فاسمع فاحذثك بالواضح الجلي . اي جاك ارلنرورد اعلم اني ظالما وطنت نفسي على احتمال كل مشقة وعناء لاجلك ومعك — على طريق المحبة . اما الآن وقد اتضح لي انك اتخذتني وسيلة لقضاء مصالحك فاسمع ما عندي عليك . قد امتهنت نفسي لاجلك كثيراً واشبعتها تحقيراً وتعيراً فينبغي لك ان تجزييني على هذا الاحسان بالاحسان وتفتن بي مذ الآن

تعقلي يا املي ! فعلى الانسان ان يجعل غاية لمطمح نظره ولا يتناول على قصره . وما كنت قط لابلغ هذا المبلغ من الجنون وانتهى الى هذه الدركة من الهول . فلي بعض الاصحاب وينبغي ان اكون عندهم محترماً

— اذاً انا لست اهلاً لك ! أنت الذي لا يقوى على دخول بيت احد الشرفاء الادباء في انكلترا — انت اللص — انت المنافق — انت "النصاب العيار" ! — أنسيت اني اعرف كيف قضيت على غودارد باخرباب والدمار ؟

— لست ابالي بما تعرفين لاني اردت الاهتمام بك فأبيت . ومعلوم ان المرأة التي تستميل رجلاً متزوجاً الى محبتها لا تنال من هذه المحبة في النهاية سوى شرمغبتها . فانا باذل الآن غاية جهدي في استرجاع مقامي واحترامي في الهيئة الاجتماعية وبعد خمس سنوات ينسى الناس ذكر ماضي ولا يعود احد يعهدني في شيء مما كنت عليه قبلاً . وكان يمكنك ان تدركي لاول وهلة من تصرحي لك بعدم رغبتني في حضورك اني لا ارضاك —

واعترض ثمة كلامه دخول خادم بيده رقعة دفعها الى السيدة املي فتناولتها ومزقت غلافها بمزيد السرعة وطالعتها والغيظ يقيمها ويقعدها . ثم كتبت جوابها واعطته للخادم فانصرف في الحال —

وبعد انصرفه ظهرت عليها لوائح الهدوء فقالت : —

— كنت اظن ان كلاماً مناً يعرف الآخر جيداً . ولكن يظهر لي ان كلينا اُتيح له الآن

ان يطلع على ما كان يجھله من قبل . فعزمك الجديد على استرجاع مقامك بين الناس غريب جداً كما ان ما عزمته انا عليه الآن لا ينقص عنه غرابة فبكل صراحة ارفض قبول ما عرضته عليّ — يا عزيزتي املي ان اعظم ما دعاني الى التعلق بك توهمي انك على جانب عظيم من

التعقل . فلست على شيء مما اعهدته فيك من قبل وقد اظلمتكم طلع امري

— وبعبارة اخرى انك تكرهني ! فالان اخبرك بما انا صانعة . لست اقوى ان اكرهك على الاقتران بي . لكنني لا ادعك لتقترن بغيري . فقد طالما شددت ازرك في مقاصدك الرديئة وارتطمت لاجلك في ادناس دنايا وارجاس خزايا لم يكن مال العالم كله كافياً لاغرائني باغترامها واجترامها . وان كانت نفسك الامارة بالسوء تسول لك انك قادر ان تقول لي " استودعك الله لم يبق لي من حاجة اليك " وتوقع أن هذا يكون خنام الامر فانت اكبر مغرور واعظم جاهل يمثل هذه الامور . أو هذا ظنك في امرأة متعقلة — كما تفضلت بوصفك اياي — كانت علي الدوام مستعدة لاستجلاب مسرتك وتكثير موارد الخير عليك ؟ وكانت وهي توجه قواها العقلية نحو ما فيه صلاحك ومنفعتك تعد متعقلة محبوبة ولكن حين وجئتها قليلاً الى الاهتمام بمصلحة نفسها حسبتها طائشة رعاء . أأكون متعقلة اذا سكنت عنك الآن وهمت على وجهي في الارض متروكة وحدي لا منقذ لي ولا معين لكي تكون انت عضواً مكرماً في جسم الهيئة الاجتماعية ؟ يا للغرابة ! لقد ساء فالك وكذبتك نفسك

فنهض اللورد واخذ برنيطته وعصاه و تقدم نحو الباب يروم الخروج نفخت اليه واحاطته بذراعيها قائلة : —

— جاك . جاك . لا تذهب على هذا المنوال . عفواً فقد غاظك كلامي . عدني انك لا تذهب

فاجابها بخشونة : —

— لقد حدثتك بكل ما عندي . دعيني اذهب دعيني اذهب ثم دفعها بيده وخرج وفي اندفاعها زلت قدمها فسقطت بعنف شديد الى الارض وظلت هنيهة كمن اصابه دوار ثم تنهدت تنهداً عميقاً سرى عنها بعض كرها ونهضت خائفة القوى ضعيفة العزم حتى انها بالجهد استطاعت الوصول الى مكتبتها فلاح منها التفاتة الى الرقعة الملقاة عليها فقالت بصوت جهير : —

آه يا جاك لو عرفت من ذا الذي ينتظر جواباً على الرقعة لكنت اشد تبصراً وافر تعقلاً — لكنك ستعرف عما قليل وتندم حين لا ينفعك الندم

ثم قرعت جرساً امامها وفي الحال دخل القائدا وبن غودارد فاسرعت الى استقباله بعدما
 نعلبت على نفسها واخفت تأثرها من ذلك السقوط العنيف وقالت : —
 — لا يسعك ان تصف شدة ابتهاجي بروؤيتك . فقد كنت محسناً اليّ اكثر مما استحق
 وقد بقيت الى هذه الدقيقة كافرةً بجميعك وجاحدة لمعروفك
 فاجابها متلطفاً : —

— مسكينة ! لم اراك مضطربةً ؟ ماذا اصابك ؟ وهل استطيع مساعدتك
 — انك دائماً مصدر هذه العواطف الشريفة يا اوبين فله درك من مفضال كريم الشائل !
 وقد علمت مما كتبته اليّ انك قادم للسعي في حمل ارنفورد على الاقرار بما جناه عليك وتروم
 مساعدتي . ولا ريب في انك تقدر هذه المساعدة حق قدرها
 — نعم لان كثيرين باقون مرتابين في براءة ساحتي . وستعقد هذه الليلة جلسة في بيت
 المنبر مركز لاجل هذه الغاية وارجوان تكوني من اكبر الماعدين لي . لانك تعلمين براءتي
 — نعم اعلمها وسابرهنها . اذهب الآن فاني انتظر زائراً . لاتبلي على اشتراك في هذه
 المسألة فقد كان لي عذرٌ وهو محبتي لمن تعرفه . والآن — الآن — دفعني دفعةً صرعتني الى
 الارض ! آه !

— دفعك !

— نعم

— بالله وحشاً ضارياً !

— لا بأس . اذهب الآن . ومساءً نلتقي

وبعد خروجه قامت مرةً ثانية الى مكتبتها واخرجت منها غلافاً ومزقته بسرعة لا مزيد
 عليها واخرجت منه ورقة لعب وهي ” رُوا السباتي “
 وفيما هي تنظر اليها دخل الخادم ويده رقعة فتناولتها متراخية متشاقلة وفي طرفة عين
 هاج غضبها اذ تلت على الرقعة اسم ” السيدة ارنفورد “ . فالتفت الى الخادم وزعقت به : —

— هل قلت لها اني هنا

— كلا ياسيدي بل اخبرتها باني سانظر

— اذا قل لها اني غائبة

ثم نادته بعد ما كاد يخرج : —

— قف . ماذا تريد مني — هذه المرأة — هنا في بيتي ؟

وبعد ما وارت الورقة في جيبها امرت الخادم بان يدخل الزائرة اليها وحين دخولها قالت

لاملي : —

— لا ريب في انكِ قلقتِ لزيارتي هذه ايها السيدة ويجب عليّ الاعتذار عن نظمي عليكِ . لكنني لم اجد مندوحةً عن مقابلتكِ . ان — ان لي حاجة اطلبها منكِ

فاشارت اليها املي بما دلّ على اصغائها الى كلامها واستتبعت تلك قائلة : —

— بالغكِ نبأ الاجتماع الذي ينعقد هذا المساء لاجل تبرئة اوبين غودارد

— نعم

— واظنكِ تكونين فيه

— نعم

— سمعتِ اني عازمة على الرجوع الى زوجي اللورد ارنلفورد

— نعم

— ان مقام اللورد موقوف على ما نقولينه أنتِ ولا اجهل حرج موقفكِ في مثل هذه الاحوال وارجو انه يأتي احسن اصلاح ممكن . وقد جئتُكِ الان متوسلةً اليكِ ان تمسكي عن التشديد عليه جهديكِ

— ماذا ترومين ان افعل

— مرادي ان لا تحاربيه بتلك الورقة

فدلت املي يدها الى جيبها واخرجت الورقة المعهودة ووضعتها امامها . فلما رأتها السيدة ارنلفورد صرخت : —

— هذا ما كنت اخشاهُ . ولا بدّ ان يكون القائد غودارد عازم على اظهار الورقة التي

معهُ — المكتوبة بخطي . فارحمي زوجي ولا تضيفي هذه البيئة القوية الى تلك

— لقد كلمتني ايها السيدة بحرية تامة فلي انا ايضاً ان اكلمكِ كذلك . فقد كنت عازمةً

على صيانة هذه الورقة واخفائها حتي عن نفسي . ولكن منذ ساعةٍ تغيرتِ الاحوال

— ارجوان تعودي الى —

— لا . دعيني افتكّر

ثم حال دون افتكارها دخول الخادم يقول لها سرّاً ان البارونة التدورف خارجاً تنتظر

الدخول فامرتهُ بادخالها والتفتت الى الس وقالت : —

— ان احدي السيدات قادمة لزيارتي في وقتٍ معيّن لها من قبل . وعلى افكارها

يتوقف امر تصرُّفي في هذه الورقة فادخلي هذه الغرفة التالية غير مأمورة وبعد ذهابها اطلعك على ما يكون

— نقولين انها قادرة على تقرير فكرك افلا تدعيني اجتهد في اسمائها نحوي ؟ فعلى المرأة ان ترفق بينت جنسها

— ليس الآن بل بعد اجتماعي بها على انفراد

فدخلت السيدة ارنفورد الغرفة الملائقة وجلست املي وحدها تنظر الى الورقة وتخطبها :—

— لست اعلم لمن يكون نصيب الحصول عليك ؟ فكل من ذينك الرجلين وهذه المرأة التي كانت الان هنا يبذل في طريق نيلك مالا جزيلاً . والشيطانة الجميلة يهملها الحصول عليك اكثر من كل واحد منهم . ترومين ايها البارونة التدورف ان اساعدك على رفع النقاب عن وجه ارنفورد ولا تعلمين اني عازمة على بذل هذه المساعدة بماء الرضى والمسرّة ثم دخلت الشيطانة الجميلة فتقدمت املي لاستقبالها قائلة :—

— بغاية المحافظة على الوقت ايها البارونة . حسنًا فعلت ولا يخامرك ريب في اني افدر ثقتك بي حق قدرها وسوف ابرهن ذلك

— لقد برهنته بكتمتك سرّ نقلد غودارد قيادة الفرقة الطيارة حين قدومه الينا في مرقنا السيامي قبلما برحنا الى نيس

— لكنني لم اعرف ذلك الا بعد ما تركني ارنفورد في باريس ورجع الى لندن
— وحسنًا ارتأينا ان نملكك على الارتياح في صدق هذا اللورد قبلما نطلعك على سرّ عظيم كهذا . فلا يخفى عليك اننا نحن النساء حينما نحب —

— نعم . نعم . فهمت مرادك والان تريدان ان اساعدك على اتمام شيء آخر
— نعم وارجو اني استطيع الاعتماد عليك

— ساجتمع بك هذه الليلة الساعة التاسعة في منزل المستر برنكر وسيزي غودارد انه لا يكون له هناك مساعد نظير املي دشتون

— توقعت اولًا اني سوف اتعب كثيرًا في حملك على مساعدتنا لكنك تفضلت بقبول هذه المساعدة بماء الرضى على خلاف المنتظر ولست اسالك عن سبب ذلك . ولسوف ابرهن لك اني قادرة هذه الخدمة قدرها . لان مرجع تبرئة غودارد اليك . ومعول نجاحنا في نيلها عليك وسوف يسبب لك ذلك حزنًا والماء وان سبب لنا فرحًا وابتهاجًا . لانك امرأة

وحيدة ليس لك شريك ولا معين على مجالدة هذه الخطوب . فارجوان تثقي بانك في كل حين تستطيعين الاتكال على امرأة واحدة تشاركك وتعضدك وان مست الحاجة تحميك وتلك المرأة هي التي تعرفينها باسم الشيطانة الجميلة . هذا وفي اراك مضطربة كثيراً فأشير عليك بأن تستريح قليلاً وفي الساعة التاسعة أرسل اليك مركبتى

— شكراً لك . ساكون مستعدة في الوقت المعين

— اظنك لا تزالين محافظة على الورقة التي اعطاك اياها ارلنفورد

— هذه هي

— هل تسمحين لي بالحصول عليها ؟

— عندي سيدة تنتظر انصرافك لكي تعيد التماس الحصول على الورقة لتمزقها

— سيدة ! من هي ؟

— الكونتس ارلنفورد

— يهمني جداً ان اقابلها . فتفضلي بدعوتها الى هنا وعري في كلاً منا بالآخرى

— ولكنني اخشى حضور هذه المقابلة

— ادعيها واعذري عن الحضور واتركينا وحدنا فاكفيك مؤونة الحيرة في امرك وارفع

عنك ثقل الاهتمام باجابة طلبها

— باي اسم ترومين ان تعرفني عندها ؟

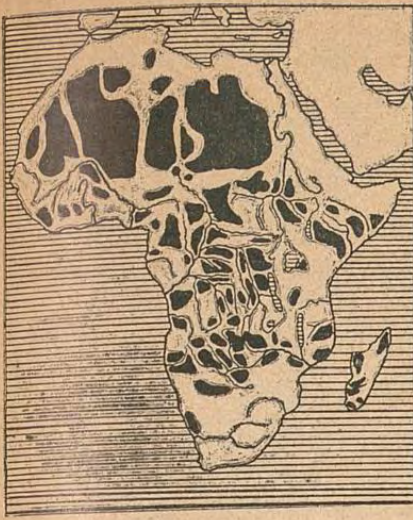
— باسمي الخاص — البرنسس غالتزن

— ماذا !

— هذا هو اسمي الحقيقي . ولم يعرفه قبلك احد غير البرنس سكولوف . فذهبت املى

وجاءت بالس وعرفتها بالاميرة غالتزن وتركتهما وحدهما وخرجت





افريقية اليوم



افريقية سنة ١٨٠٠



اميركا الشمالية اليوم



اميركا الشمالية سنة ١٨٠٠

